موقع باب الواد – دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي

نشر خلال شهر أيلول عام 2016، على موقع باب الواد.

نضع بين أيديكم مقالًا أكاديميًا مترجمًا عن الإنجليزية، وهو بعنوان "تمكين الجيش : ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية وصناعة مجتمع المعرفة الأمنية الجديد– عسكرة يهودا والسامرة"، لكاتبه "يودي ليبيل" من جامعة مستوطنة "أريئيل". يعالج المقال أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في المستوطنات الصهيونية، فقد كان على الجيش الصهيوني في العقد المنصرم أن يُعدّ ذاته لتحديات متنوعة نابعة في مجملها من محيطٍ إقليمي متحوّل تتعددُ فيه أوجه الصراعات واللاعبون. وبالرغم من أهمية التّحديات الخارجيّة لصناع القرار في أعالي الهرم الصهيوني،إلا أن التغيّرات الاجتماعية الصهيونية الداخلية لا تقل عنها أهمية، ولا تقل عنها تأثيرًا في تحديد أولويات الجيش وتحولاته.

في طيّات هذه التّحولات الاجتماعية، وفي سياق تأثير هذه التحولات على التكوين الديمغرافي والاجتماعي للجيش، وتحوّله – وإن بشكل محدود – من جيش شعبيّ إلى جيش مهني على شاكلة غالبية الجيوش الغربية، تلعب أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، تلك التي ينتسب لها أبناء التيار الصهيوني القومي المتدين، دورًا جوهريًا في استجلاب ودمج شريحة هامة من هامش المجتمع إلى مركزه، وذلك في سياق مجمتع عسكري يستند في قدرته على البقاء إلى مفاهيم ترتبط بـ"القوة" وسياسات "الجدار الحديدي".

يخدم اليوم في الجيش الصهيوني 73٪ فقط من الذكور المؤهلين للخدمة العسكرية، و58٪ من الإناث المؤهلات. وتعتبر هذه معدلات منخفضة في مجتمع يرى الخدمة العسكرية طقسَ عبورٍ اجتماعي ضروري "لمواطنة" فاعلة، وفي مجتمع يرتكز على الخدمة العسكرية في قدرته على احتواء الإختلافات الأيديولوجية والإثنية والاجتماعية والسياسية. يعاني المجتمع الصهيوني خصوصًا في شقه العلماني–الليبرالي من متلازمة "ما بعد البطولة" وقابلية واندفاعية أقل نحو الجيش وبالذات في الوحدات القتالية.

وينبع انحسار الإندفاع نحو الخدمة العسكرية من تغيرات ديموغرافية ترتبط بشكل أساسي بصعود التيارات الدينية الحريدية (اليهود الأورثودوكس)، والاضطرابات الاجتماعية التي أحدثها تنامي هذا التيار في رحم مجتمع علماني آخر يرى في الخدمة العسكرية عبئًا وثقلًا اجتماعيًا . ولا يمكن فصل هذا الانحسار عن التحولات الاقتصادية البنيوية التي غيرت الطابع الاقتصادي والاجتماعي للكيان من نظام اقتصادي اعتمد على مفاهيم التكافل الاجتماعي المرتبط بأيديولوجية الحركة الصهيونية العمالية، والتي سيطرت على الحركة الصهيونية في بداياتها، إلى اقتصاد نيو–ليبرالي يحيل المجتمع الصهيوني للنزعة "الفردانية"، وإلى استعدادية أقل للتضحية في سياق مجتمع متعدد الجبهات والمعارك.

في ظل هذا السياق، تأتي أهمية أكاديميات ما الخدمة العسكرية، والتي نخرط فيها أبناء المتدينين الصهاينة، إذ أنها استطاعت خلق مجتمعٍ معرفي– عسكري، له رموزه الخاصة ونماذجه الحيّة، ولديه القدرة الكافية على إنتاج جنود أكفاء وشرسين مقبلين بقوة على الانضمام إلى الوحدات القتالية في الجيش.

وقد ساهمت هذه الأكاديميات في أن يأخذ أبناء التيار الديني الصهيوني دورًا متصاعدًا في هيكلية الجيش الصهيوني، وبالتالي الحصول على نفوذ سياسي واجتماعي أوسع. وهنا لا يمكننا الفصل بين الأهمية النابعة من تكوّن نخبة عسكرية جديدة في داخل الجيش الصهويني، وبين خروج تلك النخبة من رحم رأس الحربة الضاربة للمشروع الإستيطاني في الضفة الغربية، وتأثير ذلك على ثقافته السياسية، ومستقبل "الحلول" السياسية المقترحة من قبل "النخبة الفلسطينية" وحاضنتها "الدوليّة".

وقد وقع اختيارنا على هذا المقال للترجمة، لأهمية منهجيّته التحليليّة –ضمن علم الاجتماع العسكري– في دراسة التحولات في المجتمع العسكري الصهيوني ضمن سياق التحولات الاجتماعية للجماعة الاستيطانية المُحاربة المسماة " اسرائيل". وقد تطوّعت فرح عصام مشكورة لانجاز هذه الترجمة، وقام فريق باب الواد بتدقيق الترجمة ومراجعتها.

- مادة مترجمة – موقع باب الواد

تمكين الجيش : ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية وصناعة مجتمع المعرفة الأمنية الجديد– عسكرة يهودا والسامرة

Settling the Military: the–pre military academies revolution and the creation of a new security epistemic community – The Militarization of Judea and Samaria

لكاتبه: يودي ليبيل Udi Lebel

دائرة الأنثربولوجيا والسوسيولوجيا، جامعة آرئيل، فرع السامرة وغور الأردن مركز R&D، أريئيل، إسرائيل

نشر في مجلة "الشؤون الإسرائيلية" Israel Affairs في عدد رقم 21، الصادر عام 2015.

ترجمة: فرح عصام

تحرير :فريق موقع باب الواد

يصف هذا المقال تأسيس أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في منطقة يهودا والسامرة باعتبارها كيانات تقوم بدور وكلاء الثقافة (المترجمة: Cultural agent هُم أي فئة في المجتمع تعمل على إرساء ثقافة أو أفكار وقيم معينين كالمؤلفين والفنانين..الخ) الذين يسبقون الوجود العسكري في تلك المناطق. ويتابع هذا المقال تطور مجتمع المعرفة الأمنية Security epistemic community في تلك المناطق، والذي شكّل هوية جديدة للمستوطنين. لقد غيّر تزايدُ التحاق الشبان المتدينين – الصهاينة بالوحدات القتالية ومساقات الضباط في جيش الدفاع الإسرائيلي بفضل تلك الأكاديميات، وضعَ المستوطنين وكل المتدينين – الصهاينة في المجتمع الإسرائيلي في مقابل النخب غير المتدينة، والمتدينين الأرثذوكس (الحريديم)، والجماعات المتدينة الصهيونية التي لم تنخرط في أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. أصبحت منطقة يهودا والسامرة "منطقة أمنية" معروفة بالتضحية والبطولة والعطاء وبشراكتها التربوية مع الجيش، والتي انعكست بنسب مئوية أعلى لأنشطتها في المؤسسات التعليمية والدينية والثقافية مشجّعةً خدمة عسكرية جادّة وذات معنى.

مقدمة وأهداف هذا المقال

منذ مطلع الألفية، تخدم نسبة متزايدة من الإسرائيليين الصهاينة – المتدينين (من أتباع التيار الصهيوني المتدين) في الوحدات القتالية لجيش الدفاع الإسرائيلي، فضلا عن تحوّلهم إلى ضباط من أصحاب التصنيفات المتوسطة والعالية في تلك الوحدات. على مدار سنوات طويلة، كان الميدان العسكري وروح إسرائيل أمرين مرتبطين بالحركات الاشتراكية الزراعية اليسارية، الحركات العلمانية، والتي طبّقت خيار "اليهودي الجديد" الذي أدار ظهره للشتات المتدين، بالأخص مع وسمه عالم التوراة وحياة الجيش كمجالين متنافيين dichotomous spheres. يركّز هذا المقال على الديناميكيات التي أطلقت مع تأسيس أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية– وهي المؤسسات التي أتاحت لشباب الصهاينة المتدينين خيار الارتباط بالجيش وبعالم التوراة بأسلوب هجين، الأمر الذي أدى لانخراط غير مسبوق للقوميين المتدينين في الأنشطة العسكرية الإسرائيلية. في كتابه "النخب الجديدة في إسرائيل" New Elites in Israel الصادر سنة 2007، في فصل "نخبة الجيش الجديدة"، وتحت العنوان الفرعي "المخزون الجديد لضباط جيش الدفاع الإسرائيلي"، كتب المحررُ السابقُ في صحيفة حركة العمال المعروفة باسم دافار Davar، يورام بيري Yoram Peri، قائلًا:

إن أكثر الجماعات بروزًا هي معسكر القوميين– المتدينين. فيما مضى كانت أعداد اليهود المتدينين ...في التصنيفات العالية ضمن جيش الدفاع الإسرائيلي ضئيلة... هذه الأيام، ربع ضباط الفرق وقادة الوحدات متدينون... وقد تلقت هذه الظاهرة دفعة إلى الأمام مع تأسيس أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، إذ منحت هذه الأكاديميات شرعية دينية للخدمة في الجيش كجندي منتظم ضمن وحدات جيش منتظمة، وليس كجندي مرتبط بحركة "يشيفوت ههسدير" (مركز ديني جمع ما بين دراسة التوارة والانتظام بالجيش في وحدات منفصلة) والتي كانت لها وحدات منفصلة داخل الجيش.

كما سنستعرض، فإن هذا الوضع لم يؤثر في صورة الجيش فحسب، إنما أثر كذلك على المجتمع القومي المتدين بشكل عام وعلى النظام الاجتماعي للمستوطنين تحديدا، وبالأخص فيما يتعلق بتموضع تلك الفئات ضمن المجتمع الإسرائيلي: في علاقة تلك الفئات مع الجمهور العلماني العام، وفي علاقتها مع فئة اليهود الأرثوذوكس (الحريديم)، وفي علاقتها مع القوميين المتدينين البرجوازيين الذين لم ينضموا إلى هذا الخط العسكري الجديد– إذ أدى ذلك إلى ظهور تقسيمات جديدة داخل معسكر القوميين المتدينين. ولهذا التموضع الجديد نتائج سياسية وثقافية وحتى إيروتيكية.

لقد جذبت هذه النزعة في عمليات الدمج المتسارعة للجنود المتدينين في الجيش مؤخرا انتباهًا بحثيًا وجدليًا، وقد وصل الأمر حد الإشارة إليه بالأقلمة أو المناطقية (المترجمة: النزعة لتشكيل أقاليم لا مركزية (Regionalization). يركّز النقاش الأساسي على الاشكاليات الثقافية فيما يتعلق بشخصية الجيش، وبالأخص فيما يتعلق بالقضايا النسوية (إذ يطالب بعض الحاخامات من

التيار المتدين الصهيوني أن لا يخدم الجنود الذكور جنبًا إلى جنب مع الإناث منهم في الجيش)، والنتائج المتعلقة بالأخلاقيات وقيم الحرب لجيش الدفاع، والإشكالية المحتملة التي قد يواجهها الجنود إن وجهت لهم أوامر بإخلاء مستوطنات.

سيركز هذا المقال، كما ذكرنا، على وجه واحد لهذا التطور، مستعرضا الديناميكيات الداخلية المشتركة ضمن مجتمع القوميين–المتدينين، مع اهتمام خاص بتأثيرات هذه الأكاديميات التي أنشأت في يهودا والسامرة–الضفة الغربية. حسب رأيي، فإن نقاش عسكرة الفئة المتدينة في إسرائيل قد تجاهل العامل المكاني، لأن، كما سيتم التوضيح، أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية هي أيضًا تطور مبتدع إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وضع "الأراضي" الواقعة شرق الخط الأخضر في عيون الجنود القوميين المتدينين وكذلك في رأي الجمهور الإسرائيلي فيما يتعلق بالمستوطنات والمستوطنين.

لقد أطّر الجيل المؤسس لحركة غوش إيمونيم حركةَ الاستيطان بوصفها استمرارية لطلائع المستوطنين في الكيبوتسيم (المستوطنات الجماعية التابعة ليهود أوروبا بشكل خاص أو الاشكناز) والموشافيم (المستوطنات التعاونية التي استقطبت اليهود الشرقيين)، بالتزامن مع منح هذه الأراضي معنى دينيًا، وبذلك إظهار أنفسهم كمن يعيدون الشعب اليهودي إلى جذوره. منذ أن بدأت ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في السامرة (شمالي الضفة الغربية)، كما سنعرض، فإن الجيل الحالي من المقاتلين يدين بهويته العسكرية الجديدة لهذه المنطقة.

إن موقع العديد من هذه الأكاديميات في يهودا والسامرة، والذي جذب شبابًا متدينين من بيوت آبائهم لتجربة المراهقة والاستقلال، بات الموقع الذي يحدث فيه هذا التحول النفسي– الثقافي– تحولا من فرد نشأ على قيم دراسة التلمود الفكرية إلى فرد آخر تشكلت ذكورته الجسدية والروحية ونضجه خلال تحضّره للخدمة العسكرية القتالية.

بطريقة مشابهة لتجربة الجامعة في أوساط الشبان الأمريكيين، أو متروبولية المثليين جنسيًا، سيصبح جليًا أن مناطق يهودا والسامرة هي أماكن يستطيع فيها المحاربون الصهاينة المتدينون التحول إلى ما هم عليه، في نظرهم وفي نظر عموم الجمهور الإسرائيلي: جنودا قتاليين وضباطا. تسهل هذه المناطق التحولات حتى أنها تمنحها الشرعية. الأهداف المركزية لهذا المقال هي ملاحظة التطورات التالية:

1– أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية هي منصات إطلاق مؤسساتية تدفع بالعديد من شبان القطاع القومي المتدين نحو مواقع ذات أهمية في جيش الدفاع الإسرائيلي، بالإضافة إلى تحولها – أي الأكاديميات – إلى محرضة على خلق الهيئة العسكرية المكانية (المترجمة: بمعنى أنهم منحوا تلك المناطق هيئتها العسكرية المؤسساتية). مع تأسيس أول أكاديمية لما قبل الخدمة العسكرية في مستوطنة إيلي في السامرة، وتحوّلها إلى نموذج لمؤسسات أخرى مماثلة، باتت

مناطق يهودا والسامرة "مناطق أمنية" يوّجه شبانها لتأدية خدمات عسكرية ذات أهمية، ينتج عنها هذا التفرد النفسي- الثقافي لهذه المنطقة. إن الهيئة المكانية لتلك المنطقة معروفة بالنزعة العسكرية الثقافية. وسيتسرب ذلك إلى مؤسسات أخرى هناك- "يشيفوت ههسدير"، والمدارس الثانوية الدينية والعلمانية، وحركات الشباب، الخ.

2- لهذه النزعة نتائج مؤثرة على هوية أبناء الصهاينة- المتدينين المولودين منذ الثمانينات، حيث تبدو يهودا والسامرة كأمكنة تسهّل التحولات النفسية-الثقافية لشبان القطاع الصهيوني المتدين: تحويل الشباب المتدين من كونهم طلاب يشيفا (المترجمة:حيث للتلمود أولوية على الخدمة العسكرية إن لم يكن يختصرها) إلى جنود قتاليين. وعليه، فإن هذه المنطقة غير منفصلة عن هويتهم الاجتماعية ومناصبهم.

3- نتيجة هذا التطور، تشكّل مجتمعُ معرفة أمنية جديدٌ في يهودا والسامرة. خلال خدمتهم العسكرية، يعود الضباط والجنود إلى هناك، سواء بهدف العيش هناك أو سعيا للبحث عن نصيحة من مرشديهم في الأكاديميات أو لمشاركة خبراتهم مع أصدقائهم. فلمجتمع المعرفة الأمنية هذا رموزه وأبطاله ومفكروه ومعلموه.

4- فيما يخص هذا القطاع، كانت هنالك إعادة إحياء وتجديد لأخلاقياته وتموضعه الاجتماعي: لا من خلال الميل إلى موضعة هذا القطاع ضمن حركة الكيبوتسات من خلال تقديم المستوطنات كاستمراريةً لهذه الكيبوتسات وحسب، وبالتالي نيل تعاطف الإسرائيليين العلمانيين، ولا من خلال موضعتهم في المزاج اليهودي كمستوطنين في ربوع أرض إسرائيل التوراتية فينالون بذلك تعاطف الإسرائيليين المتدينين وحسب، وإنما بوصفهم نموذجًا استدلاليًا جديدًا يميِّز المستوطنين عن أقسام أخرى من الصهاينة- المتدينين الذين يستمرون في حضور يشيفوت ههيسدر. أساسًا، فإن أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية هي مؤسسات مبتكرة أُنشئت في مستوطنات السامرة وباتت نموذجَ محاكاةٍ لكل قطاعات المجتمع الإسرائيلي، تعترف بها الدولة وتقدرها.

5- على النقيض من صورة المستوطنين القديمة في أذهان الجمهور الإسرائيلي- تلك المرتبطة بأنهم يهتمون بمفاقمة مصالحهم- فإن ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، والتي أدت إلى اندماج غير مسبوق لطلابها في الجيش، قد حوّلت صورتهم لأول مرة إلى أفراد يساهمون ويقدمون التضحيات من أجل تحسين المجتمع الإسرائيلي العام.

أكاديمية بني دافيد في مستوطنة إيلي: قبول الاندماج والامتياز في الجيش

في العام 1987، دعا كل من عمرام ميتسنيه **Amram Mitzneh**، وهو لواء القيادة الوسطى، الذي سيصبح فيما بعد رئيس حزب العمال، ويوسي بن حنان Yosi Ben Hanan ، قائد فيلق الدبابات، الحاخام يغال ليفنينشتاين الذي كان آنذاك مساعد قائد وحدة الدبابات الاحتياطية، للعودة إلى الجيش. في هذا اللقاء، ناقش ثلاثتهم صعوبة الاعتماد على المحاربين القدامى الذين شغروا مواقع معظم الضباط حتى الآن (اليسار، العلمانيون، وجماهير الكيبوتسات والمدن). حدث هذا عشية ما بات يعرف بـ"أزمة الدافعية": ابتعاد فئات النخبة هذه عن الخدمة العسكرية، وهو تعبير إسرائيلي لما يعرف بوجه أعمّ بالفجوة المدنية-

العسكرية. شكى الضابطان إلى الحاخام ليفنينتشاين أن "الشباب المتدينين لا يترقون إلى ضباطٍ فضلا عن أنه لا يتم تحميلهم المسؤولية". فأوضح اللواء ميتسنيه:

"يعاني المجتمع الإسرائيلي أزمة قيم هذه الأيام وأن هذه الأزمة ستستمر في التطور... لدى عموم المتدينين قيم دافعية عميقة... ونحن نتفق مع الرأي القائل بأن هذا القطاع يجب أن يقدم مساهمة نوعية أكبر للجيش".

نتيجة هذا اللقاء، وبعد مرور عامٍ عليه، أسس الحاخام ليفنينشتاين ومعلمه الحاخام إيلي سادان، "بني دافيد" (أي أبناء داوود)، وهي أول أكاديمية لما قبل الخدمة العسكرية، وذلك مستوطنة إيلي الواقعة في السامرة. ستحضر هذه المؤسسة طلابها للاندماج في الجيش، مزودةً الطلاب بالموارد الدينية والروحية، والجسدية منها، وبشكل جوهري ستزوّدهم بوعي اجتماعي فريد، بهدف تقليل إحتمالية أن يُسهِمَ اندماجُهم المستقبلي في الجيش في خسارتهم لهويتهم الدينية أو في تآكل دافعيتهم في المساهمة في الجيش.

وقد كانت هذه مبادرة رائدة فيما يتعلق بالخدمة العسكرية للجمهور المتدين في إسرائيل. حتى ذلك الوقت، انتمى الشبان المتدينون في سن 18 إلى ثلاث مجموعات:

(1) جمهور الأورثودوكس المتدينيين الذين عادة ما تجنبوا التجنيد الإسرائيلي تمامًا، وذلك عن طريق وسائل قانونية أو حتى بحكم الأمر الواقع، ومن خلال ترتيبات رسمية وأخرى غير رسمية بين الأحزاب الأرثوذوكسية المتشددة والحكومة الإسرائيلية منذ نهاية العام 1970.

(2) الصهاينة المتدينون الذين تجندوا في سن الـ18. العديد منهم، بالأخص أولئك الذين انتموا للوحدات القتالية، أصبحوا غير متدينيين. أما أولئك، الذين حافظوا على هويتهم الدينية فهم الذين خدموا في وحدات غير قتالية. وبذلك انحصرت الصورة العامة للجندي المتدين في الجيش بكونه مشرفًا على "الكشروت" (أي مشرف على تطبيق تعليمات الشريعة اليهودية، خاصة فيما يخص الطعام)، رجل دين، وقائمًا بأدوار متنوعة أخرى ضمن حاخامية الجيش.

(3) الصهاينة المتدينون الذين انضموا إلى "يشيفوت ههيسدر" فور إتمامهم المرحلة الثانوية. وقد كانت هذه "يشيفوت" (مدارس تلمودية)، لرؤوسائها (وهم حاخامات صهاينة متدينون) اتفاق مع وزارة الدفاع بحيث يسمح لطلاب تلك المؤسسات أن يلتحقوا بمساق لدراسة التلمود والتوراة يمتد لأربع سنوات يخدمون منها مدة 16 شهرًا في الجيش. خلال خدمتهم العسكرية هذه، يخدم هؤلاء في وحدات متجانسة برفقة زملاء لهم من "يشيفوت هسدير" أخرى، وهي وحدات تُسهّل تطبيق الشعائر الدينية. بهذا المعنى شكّل طلاب الهسيدر نوعًا من المجتمع المغلق Gated communityداخل الجيش، ما يؤدي إلى منع تعرض أولئك الجنود لبوتقة الانصهار في الجيش الإسرائيلي. وعليه؛ لهؤلاء الطلاب مهام هامشية فقط في الجيش، بحيث لا تخولهم خدمتهم المختصرة الالتحاق بمساقات الضباط أو تسلم تكليفات لسنوات إضافية في الجيش.

تكمن روح الابتكار في أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية في إيلي بأن أهدافها كانت معاكسة لما وصف قبل قليل: فطلابها لم يكونوا حبيسي الوحدات المتدينة، بل إنه جرى حثهم على الانضمام لوحدات متنوعة جنبًا إلى جنب مع أقرانهم غير المتدينين من الجنود. لقد أصبح المجتمع المتدين مقتنعًا أن الأكاديمية قد حضرت خريجيها بأساس ديني وروحي صلب يحول دون خسارتهم إيمانهم الديني أثناء الخدمة في الجيش. وفقًا لذلك، شهد الحاخام سادان بأنه أختار مصطلح "أكاديمية Academy " (بوصفه تعبيرا عن برنامج تحضيري) لا المصطلح "يشيفا". وقد أوضح أن دور أكاديميته كان منح الطلاب "الاستعداد الروحي لأداء مهمتهم، تحضيرهم كما ينبغي للتعامل الذهني والروحي مع خدمتهم العسكرية".

أصبحت أكاديمية "بني دافيد" باعتبارها رائدة، ورمزًا ونموذجًا للمحاكاة. ولأول مرة، يبتكر نموذج في أراضي يهودا والسامرة ويتم تبنيه من قبل مؤسسات مشابهة في أرجاء الدولة. بعد عشر سنوات، التحق 10% من خريجي المؤسسات التعليمية الدينية بأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في يهودا والسامرة قبل التحاقهم بالخدمة العسكرية. أصبحت الأكاديمية مؤسسة تفتتح عملية تحوّل نفسي–ثقافي في أوساط الشباب القوميين المتدينين– من شباب توكل إليه مهام هامشية في الجيش، شباب قادته هم حاخامات وعلماء توراة، إلى شباب يرى الجيش مركزيًا في حياته وتطلعاته، معني بالاندماج مع الجنود العلمانيين ذكورًا وإناثًا، إلى شباب قادته ومعلموه كانوا ضباطًا قتاليين شجعانًا، والذين لم تكن أنشطتهم روحية وحسب وإنما جسدية كذلك. ولم يحدث هذا كله في تضادّ مع عالم التوراة الصّهيوني–المتدين، وإنما بتبريكات قادة طوائف عدة، بمن فيهم حاخامات صهاينة أورثودوكس. تكمن ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في أنه مع تأسيسها، لم يعد الطلاب الذين فضلوا هذه الأكاديميات على الانضمام إلى "يشيفوت ههسدير"، والذين خدموا سويًا مع الجنود غير المتدينين (طوال فترة حضورهم إلى الأكاديمية)، لم يعودوا يوصمون بالانحراف عن أو الخيانة لعالم الصهيونية المتدينة، وإنما صار يُنظر إليهم بوصفهم شرعيين ومعياريين، وحتى أبطالاً.

أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية هي منصات إطلاق للجنود القتاليين. تشبه هذه الأكاديميات الأكاديميات العسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ يخدم الخريجون مع كافة الجنود الآخرين لا ضمن نطاقات عسكرية منفصلة. تتيح الأكاديميات الإسرائيلية لطلابها الرياضة والملاحة، وحتى تمارين عسكرية قتالية عديدة، بالترافق مع تعميق فهمهم لإرث المعركة، وشرح قضايا الأمن القومي، وعرض محاضرات من ضباط سابقين وحاليين. يحدث كل هذا ضمن إطار التوراة مع التزام وجداني بالوصايا، وهو إطار يصور الخدمة العسكرية باعتبارها إحدى الوصايا اليهودية. الأكاديمية نفسها هي تهجين ما بين معسكر جيش وسكن جامعي، وتتم إدارة جدولها اليومي– بما فيه من أعمال منزلية ومهام حراسة وتطوع في الخدمة الاجتماعية، وحضور ملتزم لمحاضرات التوراة والتلمود– من قبل الطلاب أنفسهم. نادرا ما يغادر الطلاب الأكاديمية، وتكون الزيارات العائلية عادة في عطل نهاية الأسبوع، تماما كما الحال في الوحدات القتالية داخل الجيش.

أثناء خدمتهم العسكرية، تظلّ الأكاديمية بيتهم الثاني، مؤسسة مسانِدة، مكانًا للقاءات وطلب المشورة والأعياد والاحتفالات، والعطلات– يفضل الطلاب لقاء زملاء الدراسة على عائلاتهم. وتخصص الأكاديمية مندوبًا لكلّ فرقة كي يتواصل مع الطلاب طوال فترة خدمتهم كجنود. كما يحضر ممثلون عن الأكاديميات مراسم تخريج طلابهم عقب إتمامهم دورات عسكرية قاسية، فيما يدعى الجنود أنفسهم، بإذن ضباطهم، إلى المراسم التي تقام ضمن الأكاديمية. تُرسل الكراريس التي تنشرها الأكاديمية إلى الخريجين، إما من خلال البريد العادي أو البريد الإلكتروني. في عام 2006، أورد الحاخام سادان أنه في أي وقت كان فإن ثمة 450–500 من طلابه قد يخدمون في الجيش. حتى أن ثمة وعيًا اجتماعيًا وهوية جديدين في الجيش: ميخانستيم (أي. رجال الأكاديمية)– كما يعرفون في الجيش.

كما سبق، فإنه منذ تأسيس "بني دافيد" في مستوطنة إيلي، باتت أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية نموذجًا لهكذا مؤسسات، وباتت رائجة ضمن أوساط الشباب القوميين–المتدينين، ليلتحق بها أخيرًا شباب العلمانيين. الصديق يجلب الصديق، والأخ يجلب الأخ، خاصّة أن هناك تشوق لخدمة عسكرية فريدة من نوعها باتت الآن ممكنة بعد الاتفاق مع قادة المجتمع المتدين. علاوة على ذلك، كان لهذه الأكاديمية منافع كثيرة أخرى كاللياقة البدنية، والصحة، واكتساب شرعية جديدة لذكورة مشتهاة، وهي أمور أدت بالكثيرين إلى المجيء إلى الأكاديمية كجزء طبيعي من تطورهم الشخصي. وعليه أسست 36 أكاديمية لما قبل الخدمة العسكرية، علمانية ودينية، على امتداد البلاد.

في البداية تطلب الأمر تفعيل الضغوط والاقناع على مدراء وزارة الدفاع من أجل إقناعهم بتأجيل الخدمة العسكرية لطلاب أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. ونزولًا عند طلب ابن أخيه الحاخام موشيه هاغارلو، رئيس أكاديمية ياتير، عملَ الحاخام إسرائيل مير لو، والذي كان حينها رئيس حاخامات دولة إسرائيل لصالح أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. عندما أسست الأكاديميات الأولى في إيلي، ولاحقًا في بير ياتير وعتصمونة وبيدويل– جميعها وراء الخط الأخضر – ذهب الحاخام لو برفقة عضو الكنيست زيبولون أورليف، عضو حزب مفدال (حزب شرقي)، إلى الجنرال في الاحتياط موردخاي غر، الذي كان حينها يشغل منصب نائب وزير الدفاع، للطلب منه تأجيل الخدمة العسكرية بحيث يتمكن الطلاب من إتمام تحضيرهم في تلك الأكاديميات. وخلال الفصل التالي، ذهب الحاخام لو إلى وزير الدفاع موشيه آرينز ونائبه، عوفاديا إيلي، بهدف تأجيل خدمة الطلاب العسكرية لمدة عامين، وبهدف زيادة عدد الطلاب، الذين كان عددهم حتى ذلك الوقت محصورا بـ200 طالب على امتداد البلاد.

شيئًا فشيئًا بدأت كلّ من وزارة الدفاع والجيش، والذين قدروا جودة خريجي الأكاديمية و نجاحهم المحتمل، بدأوا بتشجيع التحاق المتجندين المتدينين بأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية تلك عقب إنهاء دراستهم الثانوية. وعلاوة على ذلك، عندما كان

يتنافس خريجو مدرستين مختلفتين على القبول في ذات وحدة الجند أو الكوماندوز، بدأ الجيش يفضل طلاب أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية على أولئك المجندين فور تخرجهم من الثانوية العامة.

سرعان ما تكشف للحكومة أن هذه قصة نجاح باهرة لها عوائد استراتيجية: فعدد الجنود القتاليين القادمين من أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية كان أعلى بمرتين من باقي المتجندين، فيما كان عدد الضباط القادة القادمين من أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية أعلى بـ 3.5 مرات من بقية الضباط المتجندين، وكان عدد الضباط رفيعي الدرجات أعلى بثلاث مرات. في حزيران 2012، اكتُشف أن ربع الخريجين من مسار الضباط في جند المشاة هم من خريجي أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، بينما كان 18% من خريجي هكذا دورات في فروع أخرى من الجيش (مدفعية، فيالق دبابات، الخ) هم أيضًا من خريجي أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. كان ذلك مدهشًا جدًا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن خريجي أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية كانوا فقط 4% من مجموع المتجندين في الجيش.

وبالتبعية، أقرت الحكومة زيادة سنوية بنسبة 15% لعدد الطلاب في تلك الأكاديميات، آخذة بعين الاعتبار أن الأكاديميات" تساهم في تطوير المجتمع والجيش والدفاع وكذلك في التطور الشخصي للطلاب. ونجم عن ذلك تسلم الطلاب تأجيلات من وزارة الدفاع، فيما وفرت لهم وزارة التربية والتعليم الدعم المالي. علاوة على ذلك، فقد تجلى الاعتراف بتلك الأكاديميات والتعاون معها في قرار قسم الشباب وطلائع الشباب المحاربين (ناحال) في وزارة الدفاع– وهو الجهة التي تقر تأسيس أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية الجديدة وكذلك تعيين الموظفين المسؤولين عنها– بمنح أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، منذ اللحظة التي تؤسس فيها، صفة فرع من فروع وزارة الدفاع، وبالتالي فإنها تعمل تحت كنفها. وقد اعتبرت وزارة التربية والتعليم مشروع أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية موردا قوميا قيّما، مانحة إياه حماية حكومية. ويدرج موقع وزارة الدفاع على الانترنت أهداف هذه الأكاديميات والتي تمولها الدولة، كالتالي:

"لقد أُسست أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية بغرض تحضير الشباب وخريجي المدارس لخدمة عسكرية فعالة كاملة في جيش الدفاع، لتشجيع التطوع في الوحدات القتالية، ووحدات النخبة، ومساقات الضباط...ضمن إطار من التعاون بين وزراة التربية والتعليم ووزارة الدفاع والجيش، لقد غطت الدولة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية بـ"مظلة" رسمية تتضمن: الاعتراف، والتأجيل المصرَح به للطلاب (تأجيل الخدمة العسكرية)، وتخصيص الميزانيات، إلخ".

مجتمع المعرفة الأمنية الجديد في يهودا والسامرة

في غضون عشر سنوات كانت هناك نقلة ثقافية أُحدثت بفضل ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، وقد أدت إلى إنشاء مجتمع معرفي أمني جديد new security epistemic community ، معززًا أنواعًا رمزية جديدة كانت غير معروفة في المجتمع المتدين. اشتملت هذه الأنواع على صناع الرأي في المواضيع الأمنية، وكانوا في أغلب الأحيان من يهودا والسامرة،

وسمهم أوسبورن بـ"مثقفي العامّة"، وهم يشكلون أنماطًا مثالية يتم تقليدها–أي أنها أساسا، سلطات معرفية– أخلاقية جديدة. سنصف هؤلاء أدناه.

المعلمون والمربون

أصبح رؤساء أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية مربين "جدد": لم يكونوا علماء توراة، أو سليلي عائلات حاخامية شهيرة، وإنما هم حاخامات كانوا ضباطا كبارا في جيش الاحتياط. مكانتهم العكسرية هي مصدر ثرائهم الرمزي وأساس شرعيتهم بالإضافة إلى كاريزميتهم. ولم تكن حقيقة أنهم يحملون رسامة حاخامية سوى تفصيل تكميلي على سيرتهم الذاتية. لقد كان المربون في أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية أيضا ضباط احتياط، بالإضافة إلى رسامتهم الحاخامية. وعليه، على سبيل المثال، في أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية في مستوطنة إيلي، كان ثلاثة من المربين الكبار قادة احتياط في الكتائب.
وكان مؤسس ورئيس أكاديمية أوتزيم المنشأة في مستوطنة عتصمونة في منطقة غزة الحاخام رافي بيريز، وهو طيار مروحية في القوات الجوية، وبعد تسريحه برتبة رائد، خدم في جيش الاحتياط ضمن مدرسة الجيش للطيارين. كان بيريز من بين أوائل الإسرائيليين المتدينين الذين يتمون مساق الطيار. لقد كان الشعار الإسرائيلي "الصفوة سيخدمون في سلاح الجو" لسنوات محققا من قبل إسرائيليين غير متدينين، وفي الأغلب من خلفيات أوروبية نخبوية (الأشكناز)– شباب الكيبوتسات أو خريجي الثانويات الحضرية النخبوية. كان بيريز متدينا ومغربيا، درس في مدرسة مركاز هاراف التلمودية، وكان قد ارتسم للحاخامية في يشيفات هاكوتيل (تلمودية حائط المبكى): وهما مؤسستان كانت لكليهما أيديولوجيات الصقور اليمينية المتشددة. ومن تلمودية مركاز هاراف انطلقت الأصوات التي تنادي الصهاينة المتدينين للاستقرار في الأراضي المحررة بعد حرب الأيام الست.

في العام 1992 أسس بيرتز أكاديمية لما قبل الخدمة العسكرية وترأسها حتى عام 2011، حينما اختير للخدمة كالحاخام الأعلى في جيش الدفاع برتبة عميد. إن المنزلة الرفيعة لبيريز في أوساط مجتمع القوميين – المتدينين لم تنبع من منزلته الدينية – المتعلقة بالتوارة، وإنما من حقيقة أنه كان أول يهودي متدين يصبح طيارا في سلاح الجو– وهو دور عسكري له اعتبار أسطوري في الثقافة الإسرائيلية. ومثله، أثار ضباط كبار سابقون يرأسون أكاديميات أخرى من أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية الإعجاب لا بسبب براعتهم التوراتية الهلاخية وإنما لرأسمالهم العسكري الرمزي.

كان الحاخام الأعلى السابق في جيش الدفاع، العميد آفي رونزكي، قد خدم في وحدة النخبة شاكد خلال حرب يوم الغفران. نشر رونزكي مقالات تتعلق بجيش الدفاع، فضلا عن سلسلة من المؤلفات (فيما السهم في يد البطل) والذي يحتوي أجوبة شرعية حاخامية (rabbinic response) تتعامل مع المسائل العسكرية. وكان رونزكي تائبًا (أي لم يتربى متدينا منذ البداية، وأنما أصبح متدينا بقرار ذاته)، وقد درس في تلمودية مركاز هاراف، وكان رئيس أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية في ياتير،

وترأس "الهسيدر يشيفا" في إيتمار–كلاهما مستوطنتان تقعان شرق الخط الأخضر. وحقيقة أنه غادر من أكاديمية واتجه نحو هسيدر يشيفا يعزز من عملية إعادة الهيكلة التي تجري في "يشيفوت ههسدير" والمؤسسات الآخرى، بهدف أن تصبح شبيهة بأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، وهو أمر يظهر الثورة التي سببتها هذه الأكاديميات في يهودا والسامرة: ضابط قتالي تلقى رسمًا حاخاميًا أصبح شخصية تربوية مقبولة كذلك في "يشيفوت ههسدير".

بالإضافة إلى ذلك، فإن رئيس أكاديمية آتيرت في القدس المقدم في جيش الاحتياط الحاخام كريم، وهو قائد سابق في وحدة نخبوية من القوات المظلية. رئيس بيت–مدراش (صف تلمودي) في أكاديمية بني دافيد في إيلي هو الحاخام أوهاد تيروش، وهو أيضا مقدم في جيش الاحتياط. والحاخام موشيه هاجار، رئيس أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية في ياتير، قرب الخليل، وهو عقيد في جيش الاحتياط، ونائب قائد كتائب الاحتياط. وهو مثال لشخص انتقل من عالم التوراة إلى الجيش، وابن حاخام أرثذوكسي شهير. والحاخام آرون شينوالد، وهو عقيد نشط في الخدمة ضمن قوات الاحتياط، والذي خدم سابقًا في شعبة عمليات القيادة الشمالية، ورئيس يشيفا تعرف باسم شيشدير–تلاعب بكلمتي هسيدر وشيش الذي يعني العدد 6 في العبرية– وهو عبارة عن مسار تعليمي من 6 سنوات في "يشيفوت ههسدير"، يدرس الطلاب خلاله 6 سنوات بينما يخدمون في الجيش 3 سنوات منها. هي إذا عملية تهجين بين "يشيفوت ههسدير" وأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية.

جنود متوفون مثيرون للإعجاب

لقد حوّلت ثقافة تخليد الذكرى الإسرائيلية الجنود الذين يسقطون أثناء خدمتهم العسكرية من شخصيات خاصّة إلى أخرى عامة، أنواعا مثالية، نماذج محاكاة دائمة في الثقافة الشعبية. سواء أشار المرء إلى أبناء سقطوا ينتمون إلى حركة العمل، مثل إبراهيم وزيفي جوبر، أبناء ريفكا وموردخاي، والذين سقطوا في حرب الاستقلال، أو أشار إلى أبناء عائلات معروفة بانتمائها للحركة التصحيحية، مثل يوني نتنياهو، شقيق عضو الكنيست بنيامين نتنياهو، وقائد وحدة كوماندوز الأركان العامة، الذي سقط في عملية عنتيبي، فإن القاسم المشترك بين هؤلاء "الجنود الراحلين الأسطورة" أنهم إسرائيليون غير متدينين. فقط بالتزامن مع الموجة المنظمة والجماعية لانضمام القوميين المتدينين للوحدات القتالية في جيش الدفاع الإسرائيلي، وهم في أغلبهم خريجو أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية متأثرون بروح تلك المؤسسات، صار الجنود المتدينون جزءا من هذا الجسد او البانتيون (pantheon)، مانحين القطاع القومي المتدين رأس مال رمزي كبير. نشرت عنهم الكتب والسير الذاتية وصورت عنهم أفلام، وعقدت تخليدا لذكراهم محاضرات توراتية، بالإضافة إلى مؤتمرات واجتماعات على شرفهم في أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. بات ذووهم شخصيات معروفة تتم دعوتها لإلقاء محاضرات أو إجراء مقابلات إعلامية.

وبذلك، على سبيل المثال، أتى روي كلين من رعنانا ليدرس في أكاديمية بني دافيد في إيلي، واختار لاحقًا العيش في إيلي برفقة عروسه. لقد كان كلين أحد الضباط الأوائل الذين أسسوا وحدة الإيجوز Egoz، وكان نائب قائد كتيبة في وحدة جولاني. وضحى الرجل بنفسه لحماية جنوده في حرب لبنان الثانية من قنبلة يدوية وقعت بمحاذاتهم: وثب إلى القنبلة أثناء تلاوة جملة من التوراة "اسمعيني يا إسرائيل، إن ربنا واحد". ولعمله البطولي قُلِّد بعد وفاته ميدالية من رئيس هيئة الأركان. بعد وفاته، حقق كلين مكانة أسطورية في المجتمع المتدين: سميت المؤسسات تيمنا به، ألفت عنه الكتب، وعُقِدت على شرفه محاضرات ومؤتمرات حول القيادية والجيوش واليهودية. أطلق اسمه على مواليد جدد، فضلا عن مدارس ومراكز ثقافية سميت تيمنا به. عرضت أفلام مكرسة لذكراه في أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، وعقدت مناقشات تتناول بطولته وتحللها. وقد خصصت مسرحيات الحانوكاه في المدارس الإعدادية لتناول بطولته، ومقارنته بالمكابيين.

وقد بات المقدم إيمانويل مورانو رمزًا كذلك. هاجر مورانو من فرنسا وعاش في القدس، وتعلم في أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية في إيلي. كان جنديًا قتاليًا في وحدة كوماندوز الأركان العامة، وسقط في حرب لبنان الثانية في ظروف أهلّته أن يحوز ميدالية تأبينية. لأسباب أمنية، وعلى النقيض من جنود قتلى آخرين، حظر نشر صورته، وهو الأمر الذي أضفى على شخصيته وأفعاله طبيعة أسطورية وفردانية. وقد اعتبر مورانو أحد قادة هذه الوحدة وجنرالا مستقبليا في جيش الدفاع .خلدت ذكراه في العديد من المشاريع التذكارية، كالأفلام والمسرحيات. أحد الأفلام التي تناولت سيرته هو فيلم "أسطورة مورانو"، والذي قورن فيه بشمعون بار كوخبا (يهودي يزعم أنه ثار ضد الرومان سنة 132ب.ك) وقد تقلد بعد وفاته جائزة القدس للبطولة اليهودية في مؤتمر القدس السنوي.

كلين، ومورانو، وآخرون هم رموز جديدة في الصهيونية الدينية بوجه عام، وفي المستوطنات بوجه خاصّ. تخلد ذكراهم في أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، وكذلك في أماكن أخرى عديدة في أنحاء يهودا والسامرة. ولأول مرة، كان لدى المستوطنات ولدى المجتمع المتدين على حد سواء، جنود قتلى أسطوريون يقدمون شهادة على مساهمة الصهيونية الدينية وتضحياتها لأجل أمن الدولة.

الأمهات والآباء الثكلى

يجب على المرء ألا يقلل من شأن الموقع والرأسمال الرمزي للأمهات الثكلى، بالأخص ضمن المجتمع الإسرائيلي. بموت أبنائهن، أصبحت الأمهات من صناع الرأي، تحملن تذكرة دخول إلى وسائل الإعلام الجماهيرية، وهو أمر ذو تأثير لا يستهان به في سحب أو منح الشرعية لسياسة الحكومة الأمنية. وفي تتمة لثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية التي أفرزت أعدادًا هائلة من الجنود المتدينين القتاليين، بدأت الأمهات الثكلى "شخصيات مشهورة" بالظهور في القطاع الديني. وفي مثال على

ذلك، ميريام بيريز، التي هاجرت من المغرب إلى إسرائيل، وخسرت اثنين من أبنائها في جيش الدفاع: الأول، أريئيل، سقط في لبنان، والثاني، آليراز، والذي درس في أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية في أوتزام في غزة وعاش في إيلي في السامرة، قتل برتبة نائب قائد لكتيبة الجولاني، أثناء حرب 2008–2009 في غزة (عملية الرصاص المصبوب).

بيريز شخصية بارزة في الخطاب الإسرائيلي العام، بالأخص أنها تختلف عن بقية الأمهات الثكلى اللائي يعرفن باحتجاجاتهن ضدّ الجيش إثر الموت المأساوي لأبنائهن في لبنان. بيريز، على النقيض، وجدت مغزى قوميًا ودينيًا في موت ابنيها، لم تغضب، إنما اعتبرت موتهما أمرًا مثمرًا، معلنة بقوة:" من يعيش على هذه الأرض وقتًا طويلًا، يأخذ الحب كما يأخذ أشواكها". باتت بيريز متحدثة معروفة في أوساط الجنود والشبان اليافعين، مركزة على أهمية الصهيونية واليهودية في الخدمة العسكرية، وأصبحت ممثلة عن القطاع الديني في الجيش أيضا، تظهر في مناسبات مختلفة لجمع التبرعات حول العالم. ونشرت سيرتها الذاتية من قبل أكثر الناشرين الإسرائيليين شعبية، وقد كتبتها أكثر كاتبة شابة شعبية في إسرائيل، وسرعان ما أصبحت من الكتب الأكثر مبيعًا. بدأت الصحف الشعبية تلقبها "أم الأبناء"، تماما كما لقبوا ريفكا غوبر، أم الأمهات الثكلى. تلقت بيريز العديد من الألقاب، وفي 2014 كانت قد اختيرت، مع أول امرأة تحمل رتبة اللواء الركن في جيش الدفاع، لإنارة الشعلة في احتفالات يوم الاستقلال، وهو احتفال يثير الانتباه إلى شخصيات تعتبر "وطنية" ويكرمها. اختارتها صحيفة "هآرتس" كواحدة من أشد النساء تأثيرًا في المجتمع الإسرائيلي، ومنحها مركز تراث مناحم بيغين في القدس جائزته السنوية لنشاطاتها (مع وحدة النخبة في الجيش شاييتت 12 وآلان ديرشوفيتز وهو مدافع دولي عن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها).

قادة سياسيون

إن الشهادة على تعطش الجمهور المتدين لتجربة عسكرية بدنية لا حاخامية–توراتية فحسب، كانت قد تجلت في السياسة كذلك. لسنوات، كان أعضاء الكنيست، وبالتأكيد أولئك الذين يرأسون الأحزاب الصهيونية الدينية، سياسيين مرتفعي المراتب، وأكاديميين، فيما الحصة الكبرى منهم حاخامات. مع ذلك، بموازاة الثورة في أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، بدأ خيار القادة السياسيين بالتغير. كانت الإشارة الأولى لذلك هي انتخاب العميد الجنرال إيفي إيتام، أكبر الضباط العسكريين المتدينين في جيش الدفاع الإسرائيلي، ليرأس الحزب الصهيوني المتدين (مفدال – مزراحي) بعد سنة من تسريحه من الجيش. إيتام، كان في الماضي يهوديًا علمانيًا من سكان الكيبوتسات، وكان قائدًا في لواء جفعاتي. بعد عشر سنوات، احتل المركز الأول في احصائية فحصت خيارات الصهاينة المتدينين لشخصية تقود الحزب وتمثل فئتهم.

في 2012، ترشح نفتالي بينيت وانتخب رئيسا لحزب البيت اليهودي وهو التجسد الحالي لحزب مفدال (مزراحي). بينيت وهو قائد احتياط في وحدة نخبة، كان معروفًا بانخراطه في التكنولوجيا المتقدمة، بيد أنه ركز حملته على مسائل الأمن. وكان قد أكد مرارا أن ابنه سمي تيمنا بيوني نتنياهو الذي قتل في عملية إنقاذ عينتيبي، لا تيمنا بشخصية توراتية ما. صوّرت إحدى

الدعايات الانتخابية لحزب البيت اليهودي أربعة جنود مقاتلين بعتاد عسكري كامل، تم تصويرهم من الخلف، مع التركيز على الجندي المتدين في الصورة (الذي يرتدي الكيباة) والذي كان رافعًا يده يحث رفاقه على التقدم، وكان هذا الجندي أشد يقظة وقوة من بقية رفاقه، ومن الواضح أنه القائد. فوق الصورة كانت العبارة الآتية: "نحب الدولة، نخدم الدولة". وفي أسفل الصورة كتب شعار الحزب:"شيء جديد قد بدأ"، بالإضافة إلى "البيت اليهودي برئاسة نفتالي بينيت". البروفيسور آفياد كلينبيرغ، كاتب العامود في صحيفة هآرتس، لاحظ الفرق بين القادة السياسيين المتدينين السابقين وبين بينيت: "إنه يتحدث أقلّ عن الهيكل وتحقيق الرؤية الخلاصية للحاخام زيفي يهودا كوك...بينيت لا يتحدث في مصطلحات العناية الإلهية ولا يأتي على ذكر الفداء التوراتي. بل إنه يتحدث عن الأمن، والأمن فقط".

الرؤية الإيروتيكية للجنود المتدينين

إن الالتحاق المكثف الذي تمتعت به أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية بين جمهور القوميين المتدينين كان نتيجة مزج بين خيار مؤسساتي تمثل بالأكاديميات وبين النزوع النفسي– الثقافي الذي نشأ من نضج وتوق هذا القطاع من الجيل الشاب للجندية التي استثنوا منها. هذا الجيل، وبعكس الأمل الذي حمله معلموهم بأن ينضموا – أي الجيل الشاب – إلى "يشيفوت ههسدير" لم تكن لديه القدرة الطبيعية على دراسة التوراة. علاوة على ذلك، كانوا عادة ما يقدرون عناصر عديدة من العالم غير المتدين، بالأخص أبطال الجيش، مثل مئير هارتسيون، ويوني نتنتياهو، وآريك شارون، الذين ظلوا أبطالًا في نظر الشباب المتدينين حتى بحقبة ما بعد العسكرة التي عصفت العالم العلماني. بشكل عام، كان الجيش سلعة علمانية جذابة، وقد تم استثناء الشباب المتدينين منه وفقا لتعليمات قادته. والآن، مع تأسيس أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، مُنحت الشرعية لكل ما أقصوا منه: الرجولة والعسكرة والقوة البدنية– ضمن نطاق رأس مالٍ ايروتيكي لأولئك المنضمين.

وقد عُبِّر عن هذا التحول في الثقافة الشعبية. فعلى سبيل المثال، في كتابه "إن لم يكن ثمة وجود للجنة"، يصف رون ليشيم الجنود في جبهة بوفورت عشية الانسحاب من لبنان، وقد تصدر الكتاب قائمة الكتب الأكثر مبيعًا، وبنيت عليه مسرحية وفيلم، كما نال أهم جائزة إسرائيلية في مجال الأدب. يصف أحد الجنود في إحدى المشاهد:

"في لوائي، وفي كل ألوية المشاة، أصبح الجنود المتدينون يمثلون العمود الفقري لهذه الألوية. إنهم أفضل المحاربين وعودهم يزداد اشتدادا. ليس هذا الجيل كمن سبقه من الآباء المستوطنين، إنهم لا يشبهون أي شيء أنتج في الماضي ضمن نظام التعليم القومي – الديني..

فيما يتعلق بحب الوطن والأرض والتضحية وحتى الصحبة، إنهم الأفضل، والأشد حماسا، وعادة الأشد تطرفا. ليس لهم منافس في القوة البدنية والنخوة وتصميمهم على النجاح. وأنا لا أتحدث عن طلاب "يشيفوت ههسدير"، لا عن أولئك الذين يعتبر الجيش بالنسبة لهم مجرد محطة عبور مؤقتة في طريقهم نحو الدراسات التوراتية. رجالنا رجال التنفيذ، خريجو أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، الضربة الكبيرة لهذا القطاع، أبطال بني عكيفا (حركة شبابية)...لقد استولوا على الكتائب، ووحدات الكوماندوز، ومساقات الضباط".

قبل خمس سنوات (2000)، كان الفيلم الإسرائيلي الذي أحرز نجاحا باهرا "هاهسيدر" قد عُرض وتلقى جائزة أوفير (الأوسكار الإسرائيلي). كان بطل الفيلم مناحم، ضابطًا متدينًا في وحدة المظلية، وخريج للهسيدر يشيفا، قد وقع في حب ابنة رئيس الهسيدر يشيفا في إحدى المستوطنات. أراد هذا الحاخام أن تتزوج ابنته بيني، والذي كان يمثل الانجاز المثالي لمهمة الصهيونية الدينية في عصر ما قبل أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية: بيني كان عالمًا بالتوارة، عبقريًا، والذي أشار إليه الحاخام إلى أنه سيكون عالمًا رائدًا بالتوارة. مع ذلك، وقعت ابنته الجميلة في حب مناحم، المقاتل، وهي شخصية لم تكن ذكورتها وأنشطتها، كما ذكر، النموذج المثالي لشريكين متدينين آنذاك، حينما عُدّ الزواج بباحث توراة آنذاك أكثر تفضيلا. كانت الرسالة التي بثها الفيلم أنه لكي تقع في حبك فتاة جميلة، فمن المفضل أن تكون ضابطا في لواء المظلية عوضًا عن أن تكون عالمًا بالتوراة في يشيفا. طفت هذه النظرة على السطح على ما يبدو في الوقت الذي كتب فيه نص الفيلم، وهو الأمر الذي تطلب من مؤلف النص–يوسي سيدر– أن يعيش في مستوطنة دوليف لسنتين.

إن الرسالة التي مفادها أن الجندي أشد جاذبية من مفكر التوراة انعكست على اختيار الممثلين. فقد لعب دور مناحم الضابط الممثل آكي آفني Aki Avni، الذي كان الشخصية المشهورة الأكثر شهرة آنذاك، ممثل وعارض نامي العضلات، والذي مثّل مسبقا في المسلسل التلفزيوني "تدريب أساسي"، في شخصية قائد سرية من قوات المجندين في لواء جفعاتي.

أما الابنة فلعبت دورها الممثلة المعروفة رافيت روسن Ravit Rosen ، والتي تلقب بـ"تينكربل" لأدوارها التي تمثل فيها دور الفتاة الرخوة، الطفولية الشابة، والتي تظهر أحيانا عارية في أفلامها، والتي كانت موضوعا لعواميد النميمة في الصحف، وتعتبر أيقونة في النوادي الليلية المميزة. أما بيني فقد لعب دوره الممثل الكوميدي إيدان آلترمان Idan Alterman، الذي ينظر إليه في الثقافة الإسرائيلية على أنه قليل الحظ، مثير الشفقة، والذي يذكر بهيئته بيهود الشتات (قصير ونحيل)، كما أنه ضعيف وشاحب، ويلبس النظارات. وقد أنتجت الفيلم شركة صهيونية دينية وكان قد نال رواجا كبيرا في أوساط القوميين المتدينين في إسرائيل.

كما سأعرض بعد هنيهة، فإنه في المستوطنات الحقيقية، وليس في الأفلام وحسب، أصبحت شخصية مناحم أكثر شعبية من شخصية بيني. وعليه فإن المناطق (أي الضفة الغربية) قد تحولت من منطقة دينية بالأساس وموجهة دينيا إلى منطقة عسكرية ذو توجهات أمنيًا security oriented.

يهودا والسامرة – "الحيز المعسكر" The militarized space

إن الثورة التي ولدتها أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية كان لها تأثير خاص قابل للتمييز على صورة وإدارة يهودا والسامرة، والتي أصبحت ما يمكن أن نوسمه بـ "الحيز الأمني": منطقة ريادية في كل الفهارس–النسب المئوية لمنتسبي الجيش، ومن يعتنقون الخصائص الثقافية العسكرية، والهيئة العسكرية ضمن كل الشباب.

أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية شرق الخط الأخضر

إن أول أكاديمية لما قبل الخدمة العسكرية أنشئت في مستوطنة إيلي في السامرة ومنذ ذاك الوقت ازدهرت هناك. تعرف هذه الأكاديمية ب"أم الأكاديميات"– وهي نموذج محاكاة من قبل مؤسسات أخرى مشابهة. كذلك، فإن أول أكاديمية غير دينية لما قبل الخدمة العسكرية قد أنشئت بعدها بحوالي عقد في مستوطنة نيلي شرقي الخط الأخضر أيضًا. هذه الأيام، ثمة حوالي 36 من أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، 41.66% منها (15 أكاديمية) تقع شرق حدود العام 1967 (12 في يهودا والسامرة و3 في هضبة الجولان). في كل أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، فإن 74% من كبار الموظفين من مستوطنات وراء حدود عام 1967.

إحصائيات التجنيد العسكري الإقليمي

سنة 2010، حلل محققو مديرية القوى العاملة في جيش الدفاع فهرس التجنيد في المجالس الإقليمية. كان المركز الأول لأعداد المجندين في الجيش من نصيب المجلس الإقليمي لجبل الخليل، بنسبة 96.4%.

ومن بين مجندي المستوطنات في تلك المنطقة (جبل الخليل)، فإن 83.3%، خدموا في وحدات قتالية. في تلك السنة وجد أيضا أن 61% من مجندي السامرة كانوا قد اختاروا آداء الخدمة في وحدات قتالية، بعكس 36% فقط من مجندي منطقة تل أبيب.

في العام 2011، وجد أن هناك تزايد في أعداد المجندين الذكور في السامرة–81.2% من سكان تلك المنطقة، بعكس المعدل الوطني وهو 74.8%. بالإضافة إلى ذلك، وجد أن نسبة المجندين الذين ارتبطوا بالوحدات القتالية وصل إلى 67.1% لمجندي السامرة على عكس المعدل الوطني الذي وصل 39.5%. وعلى نحو مماثل، فإن نسبة المتطوعين في مساقات الضباط كانت أعلى في السامرة: حيث أصبح 15.9% من المجندين (مثلا: واحد من بين كل ستة مجندين من السامرة) ضباطا، بينما المعدل الوطني كان فقط 8.3%. أخيرًا، وجد أن 88% من المجندين من السامرة (أي 9 من بين كل عشرة) اختاروا ما سُمّي "خدمة عسكرية فعالة" (كالوحدات القتالية).

كررت هذه البيانات عام 2013–حينما حظي مجندو يهودا والسامرة على أعلى النسب المئوية في الالتحاق بالوحدات القتالية. أظهر مسح تفصيلي للبلدات أن من بين كل خمس بلدات كان لديها أعلى معدلات تجنيد في الوحدات القتالية كانت ثلاث في يهودا والسامرة. كان المركز الأول لبيت إيل، حيث 86% من الرجال الذين ولدوا سنة 1991 خدموا في وحدات قتالية. وكان المركز الثالث من نصيب إفراتا في غوش عتصيون، حيث كانت النسبة 81% من الرجال مواليد 1991 قد انضموا للوحدات القتالية. فيما كان المركز الرابع من نصيب المجلس الإقليمي لجبل الخليل بنسبة 78.4%. وأفاد تحليل لنسب الرجال الذين أصبحوا ضباطا أن مستوطنات يهودا والسامرة قد حظيت بأول مركزين: الأول من نصيب إفراتا في غوش عتصيون، حيث 23% من المتجندين أصبحوا ضباطًا (كل متجند رابع تطوّع ليصبح ضابطًا وخدم مدة أطول في الجيش)، أما المركز الثاني فقد حظيت به مستوطنة أورانيت الواقعة على الخطّ الأخضر، حيث تطوع 19% من المتجندين ليصبحوا ضباطًا.

والمثير في الأمر أكثر هي إحصائيات مدينة أريئيل، المستوطنة الحضرية العلمانية الوحيدة في يهودا والسامرة. أريئيل مدينة علمانية غير دينية الطابع، ليست مستوطنة تعاونية، وأغلب مقيميها ينحدرون من شرق أوروبا مع شكوك تحوم حول يهوديتهم، ومع ذلك تنتشر القيم الحاضنة للعسكرية فعالة: على سبيل المثال، عام 2011، قدّم رئيس قسم القوى العاملة في الجيش، القائد العام أورانا باريباي، نسبًا مئوية للمجندين من المناطق الحضرية. كانت أريئيل واحدة من بين أربع مدن فاقت فيها نسبة المجندين الـ 90%، وكانت إحدى المدن حيث يوجد تزايد ملحوظ في نسبة المجندين الذكور. وفي العام 2012، كانت أريئيل في المركز الرابع على قائمة النسب المئوية لمجندي المستوطنات، وقد تسلمت شهادة كفاءة من قبل رئيس القوى العاملة في الجيش.

يمكن أن يعزى الازدياد في حضور المستوطنين في الجيش إلى مشاريع أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية التي هيجت الخلقة العسكرية في هذه المنطقة. في بداية عام 2000، نشر ضابط مجهول الهوية (والذي كانت مهمته العسكرية بالغة السرية) مقالا في مجلة الجيش "معرخوت"، حول بحث أجراه أثناء مساق دراسات في الكلية العسكرية للضباط. لقد قسّم الضابط خريجي المؤسسات الدينية على مساقات الضباط في القوات البريّة في جيش الدفاع إلى أقسام.

من استنتاجاته، يمكن للمرء أن يعرف أنه حتى عام 1992، كان عدد الجنود المتدينين في مساقات الضباط هامشيا. مع هذا، فإنه بين العامين 1993–2000 كانت الزيادة أعلى بستة أضعاف. بينما كانت هنالك زيادة أعلى سنة 2000.

وعليه؛ في عام 1990، كان 2.5% من الطلاب العسكريين من مؤسسات دينية. في عام 2000، كان الرقم 15.5%، وفي 2011 قفز إلى 42% من الطلاب العسكريين القادمين من مدارس دينية. فسّر الضابط هذه الظاهرة على أنها ناتجة عن أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية: 80% من خريجيها منخرطون في الوحدات القتالية و25% منهم ضباط. وعلى النقيض، ضمن الجيش بشكل عام، 40% فقط من الجنود كانوا في وحدات قتالية و7% فقط كانوا ضباطا. إن الأكاديميات، كما يلاحظ، كانت في الغالب متمركزة في يهودا والسامرة، وجذبت شبان القوميين المتدينين من كل أنحاء دولة إسرائيل.

مشاريع مدنية مناصرة للجيش

على العكس من مناطق أخرى في إسرائيل، فإنه خلال السنوات القليلة الماضية موّلت مجالس المستوطنات في يهودا والسامرة مشاريع لدعم دافعية الخدمة في الجيش، بما فيها برامج مثل "المختارون من السامرة" أو غافيش (الكريستال) والتي تدعم الشباب بإكسابهم مهارات قيادية وقيم تحضّرهم لخدمة فعّالة في جيش الدفاع الإسرائيلي.

ينفذ برنامج "المختارون من السامرة" في 15 مستوطنة في أرجاء السامرة، وهدفه الأساسي تزويد الشباب بالمهارات المثلى المطلوبة لمواجهة تحديات سن المراهقة، وهو السن الذي يصبح فيه موضوع التجنيد مهيمنا على حياة الشباب. روّج منسق التحضيرات لجيش الدفاع في قسم الشباب في المجلس الإقليمي للسامرة لهذا البرنامج، باعتباره برنامجًا يهدف إلى توسيع وتكييف البرامج المختلفة بما يتواءم مع شخصية كل مستوطنة: علمانية، متدينة، مختلطة. يتضمن البرنامج تحضيرات بدنية وعقلية، والتعلم عن بنية الجيش، وورشات لمساعدة المتجند في التعامل مع تحديات الجيش. يتم هنا التركيز على السياق المناطقي: ليس فقط تشجيع تنفيذ المهمة، وليس فقط التفاخر بأن السامرة قد تصدرت النسب المئوية للمتجندين، وإنما أيضًا التعلم عن الأهمية الأمنية للسامرة، بالإضافة إلى الأدوار التي لعبتها يهودا والسامرة عبر التاريخ اليهودي، والتي من المرجح أن تكثّف الحافزية للدفاع عنها. وبطريقة مشابهة لما تعهدت به أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، فإن طلاب الثانويات يقابلون رجال الجيش، ورؤساء المجالس الإقليمية، وشخصيات مؤثرة في المجتمع الإسرائيلي. يبدو أن هذا المشروع الإقليمي القائم على إرسال الطلاب إلى جيش الدفاع الإسرائيلي يفسر لماذا تلقى قسم الشباب في المجلس الإقليمي للسامرة الجائزة الإقليمية من وزارة التربية والتعليم لقاء إنجازاته.

وهكذا، فإنه ليس طلاب الأكاديميات وإنما كل طلاب السامرة يجدون أنفسهم سويا مع الشخصيات العسكرية ضمن حدود مفتوحة. على سبيل المثال، أثناء عيد الحانوكاه عام 2011، انضم شبان السامرة إلى جنود لواء السامرة في مسيرة انتهت بمراسم مشتركة من إضاءة شموع حانوكاه في قاعدة اللواء. يشرح منسق الشباب في مستوطنة إيتمار: "إن هذه فقط مجرد فعالية أخرى ضمن سلسلة من الفعاليات التي تربط شبان المستوطنات، وأيضا المستوطنين أنفسهم، مع جنود جيش الدفاع الذين يخدمون في تلك المنطقة". مرت المسيرة من قرية عورتا، حيث يقطن قتلة عائلة فوغل (المترجمة: قتل العائلة شابان فلسطينيان يوم 11/مارس/2011 هما حكيم مازن عواد وأمجد محمد عواد). فسّر المنسق: "تبث هكذا فعاليات القوةَ في نفوس شبابنا، ناهيك عن الحيوية الناجمة عن اتصالهم بجنود جيش الدفاع الإسرائيلي. نحن مع الجنود طيلة السنة. إنهم يحموننا..شراكتنا مع الجنود لا يمكن أن تنقطع.

أية أكاديميات لما قبل الخدمة العسكرية تخرج عددًا أكبر من الجنود القتاليين؟ ثقافة المجتمع المكانية للمنافسة العسكرية الجمهورية

تتجلى شواهد إضافية على مدى تغلغل ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية ضمن المجتمع المتدين في الطريقة التي تغطي فيها وسائل الإعلام الجماهيرية هذه الظاهرة. إن هكذا تغطية تظهر المهنة العسكرية، بالأخص الجنود القتاليين، بوصفهم الخيار الأكثر تفضيلا وتحبيذا ومعيارية، والذي يثمنه الشباب المتدين الجديد. فمثلا، تحت عنوان "في الأغلب جنود قتاليون: مسيرة الأكاديميات القتالية للصهيونية الدينية" (http://www.kipa.co.il/)، نشر تقرير يقيّم أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية وفقا للكيفية التي يندمج بها خريجوها في مواقع قتالية وقيادية ضمن جيش الدفاع.

إن كان في الماضي يتم تصنيف "يشيفوت ههسدير" وفقًا لعدد خريجيها الذين يصبحون حاخامات مهمين ومؤثرين، فإن "الجنود القتاليين" ووالقادة العسكريين" هم اليوم الروح الجديدة في تصنيف أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. ومجددًا فإن يهودا والسامرة احتلتا الصدارة، فقد حصلت على المراكز الأولى أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية الموجودة خلف الخطّ الأخضر، والتي أُشير إليها باعتبارها أكثر المؤسسات الواعدة وأكثر المؤسسات جاذبية، والتي كان لدى خريجيها أفضل الفرص لتحقيق هدفهم من الانضمام للأكاديمية – وهو الانخراط في القيادة القتالية ضمن جيش الدفاع.

فيما كان المركز الرابع من نصيب كيشيت يهودا في مرتفعات الجولان. وأما الثالث من نصيب إليشا في مستوطنة زوفيت في منطقة "بنيامين". وقد وجد أن 28% من خريجي أكاديمية إليشا قد انضموا إلى مساقات الضباط، و60% تكلفوا أوامر بسيطة و85% أدوا خدمات قتالية ذات أهمية. لقد لاحظ ذلك المقال كذلك موردًا إضافيًا للأكاديمية: بفضل موقعها، تخلق الأكاديمية تواصلًا بين مستوطنة عطيريت ونيفي زوف في بنيامين، وبذا تقوّي القبضة اليهودية على هذه المنطقة. إنها تشكل ماديا كتلة

يهودية كبيرة على امتداد طريق بنيامين السريع– الأمر الذي يقدّره المستوطنون، بينما يعاديه نشطاء السلام الآن بشكل صريح. أما المركز الثاني فقد حظيت به عتصمونة، التي كانت في قطاع غزة، وبعد الانسحاب من قطاع غزة عام 2005 أعيد تشييدها في منطقة أشكول. وقد وجد أن 30% من خريجيها باتوا ضباطا، فيما تسلم 66% مهامًا قتالية، و90% طلبوا الخدمة القتالية. أما المركز الأول فقد كان من نصيب "أُمّ الأكاديميات"–بني دفيد في إيلي، ووصف المقال الذي نشر في موقع "هكيبا" ذلك:

"إنه ليس من المفاجئ أن نكتشف أن أول أكاديمية لما قبل الخدمة العسكرية، والتي كانت نشطة طيلة 23 عامًا، نجحت بسهولة في الوصول للمركز الأول من بين الأكاديميات الدينية الأخرى العاملة اليوم في إسرائيل. إن هذه المؤسسة التعليمية التي أسسها الحاخامان إيلي سادان ويغال ليفنيشتاين، لم تقدر فقط على إنتاج حكايات بطولية، كحكاية روي كلين أو بينجو هيلمان أو جوناثان نينتال أو إيمانويل مورانو، ووإنما في المقام الأول إنتاج مئات الضباط الناشئين والكبار الذين يملؤون صفوف الموكب الاستعراضي لملاعب مخيم باعاد 1 التدريبي؛ وكذلك في الملاعب الخاصة بجيش الدفاع".

لقد وجد أن أكثر من 40% من المتجندين من خريجي أكاديمية "بني دافيد" قد شاركوا في مساقات الضباط، 65% أتموا المساق ليصبحوا ضباطًا ناشئين أو قادة ألوية، و90% تقدموا بطلب للخدمة القتالية. يتابع المقال مضيفا:

"يعرف الطاقم التعليمي في إيلي كيف يشجع القيادة العسكرية. ولا ترضيهم محاضرات التلمود في قاعة دراسة التوراة، أو الخطابات المتعلقة بالشؤون الدينية والإيمانية، أو الاقتباسات من الحاخام كوك، ولكنهم يدعون عددًا كبيرًا من المحاضرين الزائرين، في أغلبهم شخصيات عسكرية، الذين يأتون إلى قاعة الدراسة ليشرحوا إرث المعركة الخاص بجيش الدفاع، ولـ"يُلهبوا" الطلاب، ومن ضمن هؤلاء المحاضرين الزائرين: وزير الدفاع موشيه يعالون، ورئيس الأركان السابق، قائد قوات الاحتياط جابي اشكنازي، قادة كتائب وألوية، وحتى قادة من قوات الكوماندوز (أولئك الذين تتم تغطية وجوههم عندما يظهرون في التلفزيون). إنهم لا يكتفون بسرد العمليات المعقدة، وإنما في المقام الأول يذكرون أهمية مساهمة الجمهور بالنسبة لجيش الدفاع. على ما يبدو، لا تقع كلماتهم على آذان صماء".

وذكر المقال إنجازات أكاديمية إيلي، حتى وإن كان بعضها مأساويا:
"القائدان بنجي هيلمان وروي كلين اللذان قتلا في لبنان كانا من خريجيها. منذ تأسيسها قبل 18 عاما، فإن 50% من خريجيها هم ضباط... وقد خسرت الأكاديمية 17 جنديا حتى الآن (ما يشكل) 1% من مجموع خريجيها. يتنافس أربعة مرشحون على كل من الـ120 مركزا المتاحة للطلاب مطلع كل عام".

كُتِب هذا المقال على شكل تقرير يتحدث عن جامعة نخبوية وأعداد خريجيها في سوق العمل، أو كتقرير يتحدث عن أكاديمية فنون جميلة أو أكاديمية موسيقى وخريجيها الذين شغلوا مناصب في حقل الفن والموسيقى. هذا التصنيف لأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية ليس بجديد. وعلى سبيل المثال، في عام 2006 نشر مقال حول هذا الموضوع تحت عنوان "أشد جنود جيش الدفاع قتالًا"، وقد وجد هذا التقرير أيضًا أن أكاديمية إيلي قد تربعت على عرش الإنجازات العسكرية.

يهودا والسامرة في أذهان طلاب الأكاديمية

يبدو من هذه الدراسات أن العديد من أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، سواء كانت وراء الخط الأخضر أو داخله، قد تكشفت على مناطق يهودا والسامرة في جولاتهم ومحاضراتهم، حيث يتعلم الطلاب عن القيمة الاستراتيجية لهذه المناطق، بالإضافة لمكانتها في التاريخ القومي اليهودي. إن هؤلاء الطلاب، بمن فيهم أولئك الذين يدرسون في أكاديميات السامرة، عادة ما يجوبون تلك المناطق، وهي تجربة تحوّل تلك المناطق إلى عنصر طبيعي من مخزون المناظر الطبيعية، المناطق والمواقع التي تشكل التجربة الإسرائيلية بوجه عام، وبالتحديد تلك المتعلقة بسن المراهقة. وكما ذكر سابقًا، فإنه حتى الأكاديميات غير الدينية تقع وراء الخط الأخضر في السامرة.

آخر أكاديمية غير متدينة أسست هي تلك التي أسست في مستوطنة حرميش شمال السامرة عام 2014. عندما سأل مؤسسها، أورئيل إلداد، ابن عضو الكنيست السابق آريه إلداد، عن معنى أن تكون هذه الأكاديمية في السامرة، أجاب: "منذ بداية الألفية، لم تعد هذه المناطق تشكل أدنى أهمية للشباب... والعرب في الواقع يريدون مسحنا عن وجه الأرض، وعليه، فإن كلّ خطاب يهودا والسامرة لا صلة له بالموضوع". أحد الطلاب القادمين من منطقة هشارون في السهل الساحلي، شرح أنه أتى إلى الأكاديمية بغرض زيادة فرص قبوله في كوماندوز البحرية، ومسألة كون الأكاديمية تقع وراء الخط الأخضر ليست ذات أهمية بالنسبة له: "ليست لدي أية مشكلة مع المستوطنات في يهودا والسامرة، وعلى العكس، هنا مستوطنة ضعيفة يعوزها التمكين، ولا يهمني الموقع". في احتفالية الافتتاح، حاضر يوسي داغان، نائب رئيس المجلس الإقليمي للسامرة، في الطلاب قائلا:

"إن شمال السامرة بشكل عام وهرميش بشكل خاص هما المهمة الوطنية الأكثر أهمية هذه الأيام. إن معظم ثقافتنا كشعب يهودي تشكلت هنا في شمال السامرة. ومن وجهة نظر أمنية، فإن هذه المنطقة حيوية استراتيجيا–فعلى بعد كيلومترين منها تقع محطة الخضيرة للطاقة. إن حرميش هي قلب الدولة، إذ أنها تطل على وسط البلاد وجبال هشارون. وعليه؛ فإن إجابتنا الصحيحة كصهاينة طامحين للمساهمة في الدولة هي في القدوم وتمكين المستوطنات مثل حرميش وسكانها الرائدين القاطنين هنا".

تقدير الجيش

في السنوات الأخيرة الماضية، كانت ألوية العمليات في جيش الدفاع الإسرائيلي قد تبنت أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. يشارك طلاب كل أكاديمية في "ورشات ميدانية" وتمرينات لياقة قتالية يشرف عليها جنود من هذه الألوية. يزور الطلاب منشآت هذه الألوية، ويشاركون في محاضرات ولقاءات مع ممثلي كل القوات البرية في جيش الدفاع. وتمول وزارة الدفاع هذه الأنشطة.

إن التعاون بين الجيش وأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية قد بات رسميًا بشكل جزئي، حيث يرجع الجيش إلى روؤساء الأكاديميات حينما يبحث عن مساعدة في توجيه الخريجين إلى شعبة معينة في الجيش، وفي حال كانت هناك حاجة إلى القوى العاملة في تلك الأكاديميات. في بعض الأحيان يتنافس الضباط الكبار على استقبال واستيعاب أولئك الخريجين في الألوية أو الوحدات التي هي تحت إمرتهم.

ويمكن العثور على الشاهد المحلي على هذا الإحساس بالتعاون والالتزام من قبل الجيش إزاء طلاب أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في الأمر الصادر عن قائد قسم القوى العاملة القاضي بمنح إذن مغادرة لكل خريجي أكاديمية إيلي من وحداتهم المعنية، ليتمكنوا من حضور لقاء عقد لهم خصيصا في الأكاديمية. وبرغم شكاوى العديد من قادتهم، إلا أن الجيش يشرح بأن هذا القرار صدر من واقع "مساهمة حيوية طويلة الأمد للعديد من خريجي الأكاديميات أثناء أداء خدمتهم العسكرية".

يمكن أن نرى الأهمية الاستراتيجية لأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية بالنسبة للجيش في المؤلف رقم 16 من سلسلة "عيونيم ببيتخون ليؤومي" (دراسات في الأمن القومي) الصادر عام 2011 حول موضوع "مساهمة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في الجيش والخطاب المتدين–غير المتدين". هذه السلسلة الصادرة عن "كلية الأمن القومي" التابعة لجيش الدفاع–وهي أعلى مؤسسة عسكرية، والتي يتقلد قائدها منصب لواء في جيش الدفاع، والذي اؤتمن على تحضير الضباط الكبار فكريا. كما صرحوا في إعلاناتهم، فإن هدفهم هو نشر هذه المؤلفات في أوساط "القيادة السياسية والمستويات المهنية التي تصنع القرارات، والمستويات العملياتية، وطلاب كلية الأمن القومي الذين سيصبحون السلطات المستقبلية، والأكاديميين الكبار، ورجال الصحف وخلايا التفكير او المؤسسات الأكاديمية التابعة او الملتصقة بالجيش، الخ".

لقد ركزت هذه السلسلة على المسائل التي تعكس أجندة رؤساء قوى الأمن وجيش الدفاع الإسرائيلي، وهو الأمر الذي اعتبره رؤساء كلية الأمن القومي ملائما لجذب انتباه جماهيرهم المتميزة. إن حقيقة أن هذا الإصدار من المجلة قد اختار أن يحوي دراسةً حول أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية يعزز نقطة أن هذه الظاهرة قد وسمت بوصفها ذات أهمية للجيش.

يزور قادة الجيش وقوى الأمن هذه الأكاديميات على نحو متواتر بشكل عام، وبالأخص أكاديمية بني دافيد في إيلي، بغرض تعزيز معرفتهم و تقديرهم لها بوصفها وكيلا مهما ومركزيا في التشجيع على الخدمة العسكرية في الجيش. وعليه، فقد وسم هؤلاء القادة كلًا من الأكاديمية والمستوطنة، دون أي صلة لموقعهما وراء الخط الأخضر، برمزية وطنية وثورية واضحة.
هذه هي كلمات وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان السابق موشيه يعلون في إيلي في الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس أكاديمية بني دافيد:

"إن هذه المستوطنة، برجالها ونسائها، تحاول بث حياة جديدة في الحلم الصهيوني. في مركز المستوطنة، توجد مؤسسة تعليمية ثورية، كانت قد غيّرت التعليم العالي في إسرائيل: ألا وهي أكاديمية "بني دافيد"، رائدة الأكاديميات، والضباط الموهوبين الذين يقودون عملية تحمل عبء الأمن في هذه السنوات الأخيرة، وأفعال الجنود البطولية الذين بثوا روحًا جديدة في أرجاء البلاد. على الصعيد الشخصي، أعرف وأقدّر باعتبار شديد أنشطة هذه الأكاديمية منذ تأسيسها يوم كنت ضابطًا قياديًا في لواء المظلية. بعد هذه الأكاديمية أسست العديد من الأكاديميات.. وأنا جئت إلى هنا، حضرة مواطني إلي، باسم حكومة إسرائيلية، من أجل أن أباركم، لتستمروا بالتفتح والازدهار، لتنشروا أفكار التوراة التي تدرس في صالة الدراسة هنا، توراة أرض إسرائيل، على كل مستويات الناس لصالحنا جميعا".

في 2012، أرسلت قائد قسم القوى العاملة في الجيش، اللواء أورنا باربيباي، رسالة تحية إلى رئيس المجلس الإقليمي للسامرة، جرشون ماسيكا، بعد أن علمت أن السامرة تمتلك أعلى النسب المئوية للمتجندين من بين كل الإسرائيليين. كتبت في تلك الرسالة:

"إن هذه الحقائق، التي ينبغي أن تكون مبعث فخر لكم ولكل مواطني المنطقة، تعكس، من ضمن أمور أخرى، تأثير الأنشطة الهامّة التي أقامها المجلس الإقليمي لزيادة الوعي حول الخدمة العسكرية الفعالة وبالتحضيرات اللازمة لها. تفضل بقبول تقديري وشكري لك ولجميع المساهمين في هذا العمل الطيب".

التموضع السياسي-الثقافي للحيز العسكري

من المثير للاهتمام ملاحظة الآثار الديناميكية المتعلقة بتموضع المستوطنين في يهودا والسامرة بشكل عام وعائلات الجنود على وجه الخصوص. يتضح من الدراسة أن "الأراضي" (أي الضفة) لا تنتج جنودًا وحسب وتؤثر على صورة المستوطنين والصهاينة المتدينين في أوساط الجمهور الإسرائيلية، وإنما قامت بتسهيل تشكيل هوية جديدة للمستوطنين وخريجي أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية.

بدءًا من العام 1967، عُرّفت هوية المستوطنين من خلال موضعتهم داخل حركة بناء المستوطنات في الأراضي غير المأهولة، بهدف إظهارهم كاستمرارية لحركات الكيبوتس والموشاف، التي كانت من ريادي الصهيونية العملية. وقد ترافق ذلك مع موضعتهم دينيًا، وهو الآمر الذي أصبح أكثر بروزًا في مطلع الألفية، حيث أنهم قدموا أنفسهم بوصفهم محققي وصية الاستيطان في أرض إسرائيل، وبوصفهم عاملين من أجل إعادة المجتمع الإسرائيلي إلى أماكن توراتية مقدسة كالخليل وشيلو وبيت لحم.

كانت هاتان المنطقتان اللتان موّضع المستوطنون فيهما أنفسهم: حركة الاستيطان الصهيوني غير المتدين، والحقل اليهودي–التوراتي. إن الثورة التي أحدثتها أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية أدت إلى صعود هوية جديدة بتمركزها مقابل ومن خلال الاخذ بعين الاعتبار العديد من شرائح المجتمع الإسرائيلي وعلى اسس معيارية جمهورية: مدى المساهمة العسكرية او مدى المساهمة بالخدمة العسكرية. هذا الابتكار، كما سنستعرض، سهّل الانفصال عن المجموعات التي حاول تموضعها السابق إضمار المستوطنين معها. إن هذا التموضع الجديد فيما يخص هذه المجموعات، والذي لم يعد متصلًا بتراثها، قد منح المستوطنين وضعًا أخلاقيًا رياديًا، ولأوّل مرة وضعهم في الواجهة، كالنخبة يحملون رأس المال الأخلاقي المطلق: التضحية لأجل المجتمع الإسرائيلي.

بديل لـ"دولة تل أبيب"

إن التفوق الأخلاقي الذي أحس به المستوطنون بفضل خدمة أبنائهم العسكرية يُلاحظ على وجه الخصوص، فيما يتعلق بالجمهور غير المتدين المرتبط بالطبقتين العليا والمتوسطة، والذي عادة ما يحمل وجهات نظر سياسية يسارية. هذا القطاع، المنحدر من الكيبوتس أو الموشاف أو المراكز الحضرية، هو ما يشكل النخبة الإسرائيلية، الجيلين الثاني والثالث من مؤسسي دولة إسرائيل، الذين حملوا فيما مضى بشكل أساسي عبء الدفاع. مع ذلك، في الألفية الحالية، بات هذا القطاع بالغ الحساسية إزاء كلفة الحرب، على الصعيد المالي، وفي خسائر الأرواح والأطراف، أو في الحريات الآخذة في التقلص. وعليه، فإن الطبقة المتوسطة العليا تقوم بشكل عام بإنكار شرعية توظيف الموارد العسكرية، مفضلة حلّ المواجهة دبلوماسيًا، مع الميل للتسوية. أشار بهلافي وآوتليت إلى هذا القطاع بوصفه "مجتمع ما بعد البطولة". على النقيض من مجتمع ما بعد البطولة هذا، ومن وجهة نظر المستوطنين، فإن الخدمة العسكرية، والاستعداد للتضحية، والتصرف كمجتمع بطولي يعرّفهم كبديل أخلاقي، وينبغي أن تمنحهم – أي الخدمة العسكرية – إعجابًا اجتماعيًا وتقديرًا أعظم، بالإضافة إلى تفضيل ثقافي.

من وجهة النظر المجازية للمستوطنين، فإن "مجتمع ما بعد البطولة" مرتبط بتل أبيب، المدينة الما بعد–قومية، غير المتدينة، والليبرالية، والعالمية، والتي تمثل كل "الأمراض" التي عمت المجتمع الإسرائيلي. وعليه، فيما يتعلق بتل أبيب وكل ما تمثله،

فإن المستوطنين يمثلون – في ذات الوقت – نقيضها و"علاجها". في العام 2007، وفي معرض رثائه صديقه الذي قتله إرهابيون فلسطينيون، قال بنايا ساريل (مستوطن من الخليل، سقط في حرب غزة عام 2014، في عملية الجرف الصامد/العصف المأكول، كقائد فصيل الاستطلاع في لواء جفعاتي):

"غدا صباحا، دولة كاملة تعيش على أرض منبسطة ستتفيق وسيثير اهتمامها كم سنتمترا طال شعر نينت (مغنية إسرائيلية). كل الجنود غير القتاليين، كل أولئك المتجندين المراوغين، لم يستفيقوا في تلك الساعات التي كنتم فيها على وشك إنهاء مسيركم، تسلقكم، قتالكم، وموتكم".

في العام 2010، نشرت البيانات المتعلقة بالمتجندين في حيش الدفاع وفقًا لتصنيفات المدن. كانت تل أبيب في المركز الثامن عشر فيما يتعلق بالنسبة المئوية لشبابها، وهو الأمر الذي حث يسرائيل هاريئيل، الرئيس السابق لمجلس يهودا والسامرة وقطاع غزة، لنشر مقال بعنوان "تل أبيب منعزلة ومتهربة من التجنيد":

"مدينة من 400.000 نسمة، يخدم ثلاثة من سكانها فقط كقادة سرايا، بينما في مستوطنة بروكين في السامرة، حيث يقطن أقل من 600 مستوطن، يعيش 6 من قادة السرايا...إنه لمن التفاهة أن يشار إليها بلقب "دولة تل أبيب".

وقد أفضت ورقة هاريئيل إلى جدل قام فيه أحدهم بالدفاع عن "دولة تل أبيب"، لا من خلال محاولة إثبات مساهمتها في الجيش، وإنماعلى النقيض، من خلال مدح النواحي التي انتقدتها هاريئيل، وعليه تعزيز وجهة النظر تلك التي حملتها هاريئيل. وبناء على ذلك، كتبت نوعام ليفنا، وهي من سكان تل أبيب ومن مؤسسي حركة " الشجاعة أن تقاوم"، في موقع "الرفض من أجل إسرائيل" – وهو موقع لمقاومة الخدمة العسكرية في الأراضي– كتبت مقالًا بعنوان "هنا في دولة تل أبيب". توّجهت هاريئيل فيها مصرحة:

"هنا في دولة تل أبيب نريد أن نحتفي بالحياة لا الموت. ونحن لا نعتذر عن هذا...ليس ثمة أمرٌ مقدس أو يستحق التقدير في الجيش والحرب...إن رؤساء الثانويات الذين انتقدهم هاريئيل يستحقون المدح–لتعبيرهم عن روح المدينة. إن المدرسة ليست أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية".

لقد عبّر ضباط أمنيون كبار كذلك عن انتقادهم لتل أبيب. على سبيل المثال، حينما كان الحاخام الرئيس لجيش الدفاع أفيخاي رونزكي، وهو أيضًا ضابط قتالي سابق، قد سرح من الجيش، صرح قائلا: "إنني أكره دولة تل أبيب. هناك، تختلف نوعية الأحاديث، بشاشات عرض ضخمة وصالونات أعراس".

لدى تقاعده من منصبه كقائد شرطة في منطقة شاي، قال القائد العام شلومي كاتافي في معرض مقابلة تقاعده: "إن المستوطنين ملح هذه الأرض... مساهمة سكان تل أبيب في الدولة هي صفر...إنهم ذاتهم الأشخاص الذين يعارضون المستوطنين، وهم الأشخاص ذاتهم الذين تصل رغبتهم في المساهمة في الدولة إلى صفر كبير. إنهم يجلسون في تل أبيب، يركنون سياراتهم "الجيب" على درجات شينكين (منتجع سياحي)، يرشفون الاسبرسو، يضعون رجلا على رجل، يتحدثون وينتقدون، ويتبادلون الخبرات".

بديل عن الأورثودوكس

عن طريق موضعة أنفسهم داخل المجتمع الإسرائيلي على الصعيد القومي (لا الديني)، وذلك من خلال خدمتهم في الجيش، أصبح بمقدور المستوطنين تحديدًا، والشبان القوميين– الصهاينة بشكل عام، لأول مرة، أن يفصلوا أنفسهم بوضوح عن مجتمع الحريديم (الأرثوذوكس المتزمت). في أغلب الحالات، فإن الأرثوذوكس المتزمت ككتلة سكانية غير صهيونية لا تؤدي الخدمة العسكرية، ولسنوات تنزّه القطاع القومي المتدين عن مهاجمتهم، لأنه كان ينظر إليهم من ضمن الخطاب الديني كشركاء في تبرير الحضور الإسرائيلي في الأراضي لأسباب دينية. الآن، ولأول مرة، غيّر التموضع الجديد المستوطنين، فباتوا يحاججون المجتمع الأرثذوكسي، بشراسة تفوق حتى غير المتدينين.

وهكذا عبّر أفيخاي رونزكي، الحاخام الأعلى السابق في جيش الدفاع، وهو صهيوني متدين، عن هذه المشاعر خلال مناظرة حول حقوق الأرثوذوكس المتزمتين، حينما برر لماذا يجب أن تكون الخدمة العسكرية معيار الهرمية الاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي:

"إن القاعدة العامة القائلة بأن "ذاك الذي يعطي هو الذي يأخذ" هي قاعدة بسيطة. إن الخدمة في الجيش التزام أساسي بين المواطن والدولة والأمة على حد سواء...يجب أن تكون الخدمة في الجيش شرطًا مطلوبًا في أي مكتب عام: وزراء، أعضاء كنيست، وحاخامات كذلك".

وقد قال الحاخام إيلي سادان، مؤسس أكاديمية بني دافيد في إيلي في السامرة، في كتيب خاصّ نشرته الأكاديمية، متوجهًا إلى جمهور الأرثوذوكس المتزمتين:

"نحن ملزمون بالخدمة في الجيش، حتى الحاخامات منا...قولوا الحقيقة! لا يوجد شيء مخجل ومهين، عدا عن تدنيس اسم الله، وأكثر من استخدام التوراة في اخلاق الحجج الواهية والباطلة. لا يمكنكم أن تزعموا بأنكم لا تخدمون في الجيش لأنكم

مشغولين ببناء التوراة..كيف يمكن لأغلبية عالم التوراة الاختفاء إن قاموا بأداء خدمة عسكرية وجيزة...وعادوا لاحقًا إلى دراساتهم، وأصبحوا بذلك علماء توراة يتشاركون حمل عبء الدفاع ووجود الدولة رفقة زملائهم".

بديل عن "يشيفوت ههسدير"

بعد ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، كان هنالك تمركز غير مسبوق لجزء من المتدينين الصهاينة من الذين اختاروا إرسال أبنائهم إلى "يشيفوت ههسدير" التقليدية، وليس إلى أكاديميات ما قبل الخدمة في العسكرية. كانت هذه سابقة أدت إلى حدوث انفصال عن أفراد من نفس القطاع، يمارسون نفس نمط الحياة، ويحملون نفس الآراء السياسية، ولكنهم يختلفون في أمر واحد، وهو كم الالتزام الذي ينبغي أن يكون تجاه الخدمة العسكرية والاستثمار فيها.

كما لوحظ أعلاه، فإنه مع بداية أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية، ولأول مرة ظهرت "يشيفوت ههسدير" أقل جاذبية للشبان الصهاينة المتدينين. وقد أخذت طلبات الالتحاق بمؤسسات "يشيفون ههسدير" بالتناقص المستمر، تحديدا ضمن نخبة هذا القطاع. النخبة التي تمنت سابقا أن يصبح أبناؤها مفكري توراة وخبراء في التلمود، والتي أرسلتهم باستمرار إلى "يشيفوت ههسدير" بعد الثانوية العامة، قد أرسلتهم الآن إلى أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية. كان هذا نتيجة الشرعنة التي مُنِحت لأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية من قبل الحاخامات الذين ترأسوها، حاثين الطلاب على الدراسة معهم، ومن ثم المواصلة في أداء الخدمة القتالية في جيش الدفاع الإسرائيلي.

وكما هو الحال مع "دولة تل أبيب"، بات مسار "يشيفوت ههسدير" مرتبطًا بالصهاينة المتدينين البرجوازيين القاطنين في السهل الساحلي بالقرب من تل أبيب ونمط حياتها، وليس في يهودا والسامرة. وكنظير متدين لتل أبيب، وسمت بلدات جفعات شموئيل ورعنانا كمناطق حضرية برجوازية للطبقة المتوسطة العليا من الصهاينة المتدينين والأكاديميين والمفكرين، وبديلا للمستوطنين في المناطق الجبلية مثل يهودا والسامرة المنخرطتين مع المستوطنات والخدمة العسكرية. بعكس طلاب أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية يهودا والسامرة، فإن طلاب "يشيفوت ههسدير" حافظوا على الصورة القديمة للصهيوني المتدين، كشخص غير منخرط في الإنجازات القومية.

ولذلك، صرح الحاخام إيلي سادان في محاضرة في أكاديميته في إيلي والتي لاقت رواجا على الانترنت:
"إن شخصًا يرتاد الهسيدر ويخدم (فقط) مدة 14 شهرا– وليس للجيش أي أهمية حقيقية عنده، يقوم بتنفيذ المساق وحسب ومن ثم يعود إلى دراساته ...لأن الجيش مجرد شيء "تماسيّ" ...في الهسيدر، الخدمة العسكرية "تماسية". الجيش لا يهمهم، ويكملون طريقهم".

هاجم سادان كذلك الصورة العامة التي تساوي بين طلاب "يشيفوت ههسدير" وطلاب أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية: "كيف يمكن لأحدهم ممن يؤدي مساره العسكري الموجز ومن ثمّ يعود إلى "اليشيفا" أن يساهم أكثر من ذلك الذي يذهب عمليات وأوامر عسكرية؟".

وبطريقة مماثلة، هاجم الحاخام الأعلى في جيش الدفاع الإسرائيلي، آميخاي رونزكي، القاطن في السامرة، الصهاينة المتدينين الذين يرسلون أبناءهم إلى "يشيفوت ههسدير" قائلًا: "في رأيي، هناك تدنيس لاسم الرب، ويتعين عليهم تصفية حساب..هناك من لا ينبغي أن ينالوا على إذن بإرجاء الخدمة العسكرية الكاملة.. على المرء أن يرشد التلامذة أن التعليم مساوٍ للخدمة العسكرية. ليس ثمة شيء كأن يستفيق الطلاب متأخرين، يدرسوا لنصف يوم، ومن ثم يغادروا المدرسة نحو حفل زفاف أو حفل بلوغ (بار متسفا).

يسرائيل هاريل، وهو الرئيس السابق لمجلس يهودا والسامرة وغزة، وناشر مهم، كان قد هاجم الصهاينة المتدينين، وهم أعضاء في نفس القطاع الذي ينحدر منه، إثر اختيارهم "يشيفوت ههسدير" عوضًا عن الخدمة العسكرية الكاملة:

"يرى الصهاينة المتدينون الخدمة العسكرية كتكليف رباني، لا واجبًا مدنيًا وحسب. لقد أعلنوا، على عكس الأرثوذوكس المتزمتين الانفصاليين، أن طريقهم هي طريق نحو الاندماج ....(مع ذلك)، فإن الصهاينة المتدينين (الذين يدعمون يشيفوت ههسدير) هم في الواقع، بالأخص في معارضتهم لتمديد الخدمة العسكرية لطلاب الهسيدر بحيث يتساوون مع بقية المتجندين، يثبتون أن المصالح الضيقة التي يكرسها الحاخامات لها الأسبقية على المصالح القومية".

إن تموضع المستوطنين وخريجي الأكاديميات التاريخي لم يسمح لهم أن يفصلوا أنفسهم عن هذه المجموعات (الرافضة للأكاديميات). مع ذلك، فإنه لأول مرة، أصبح خطاب المستوطنين وخطاب قطاعات واسعة من الصهاينة المتدينين خطابًا جمهوريًا، يدعم الهرمية الثقافية بناءً على مؤشر للحفاظ على القيم المدنية الجمهورية: التضحية والخدمة العسكرية. يمنح هذا أفضلية أخلاقية لمجموعة دينية على أخرى، وبذا يُحدثُ فجوةً ثقافية ضمن جمهور القوميين المتدينين حول قضايا الخدمة العسكرية وأخلاقياتها.

ملخص

الفصل والتموضع– صورة المستوطنين في سياق الظرف العسكري

تبرهن التّطورات المتنوعة أن جموع القوميين المتدينين قد بدأوا بالارتباط أكثر بيهودا والسامرة، بينما أصبحت هذه المناطق جزءًا ملتحمًا في وجودهم، على الصعيدين العملي والأيديولوجي. بدءًا منذ بداية التسعينات، أصبح الحزب الشّرقي "المزراحي" بكل تطوراته المتنوعة، أكثر تشددًا، وأكثر يمينية، وداعمًا لاستمرار المستوطنات الإسرائيلية في يهودا والسامرة. تظهر دراسات مسحية متنوعة أن أغلبية الصهاينة المتدينين لم يدعموا ولم يرتبطوا عاطفيًا بالاستيطان اليهودي في تلك الأراضي فحسب، وإنما بات لديهم أيضًا أفراد أسرة وأصدقاء يعيشون هناك. كما لاحظ ليون:

"إن المشهد الاستيطاني جزءٌ لا يتجزأ من عالم المجتمع الحضري للصهاينة المتدينين...إن الخطّ الأخضر...بلا معنى في الحياة اليومية لجموع الصهاينة المتدينين، وبالنسبة إليهم، كما هو بالنسبة لأولئك الذين اعتادوا عبور هذا الخط...فإن الحركة الاستيطانية تخدم بوصفها عماد الفكر الصهيوني المتدين...وكشخص حساس إزاء التأثير الغامر لتجربة العيش في يهودا والسامرة وغزة: ولذلك فإنه من المناسب الحديث عن الصهيونية الدينية الحالية بوصفها صهيونية دينية من إنتاج المستوطنات". وحتى قبل ربط أبناء المستوطنين بالتضحية العسكرية، كان المستوطنون قد شكلوا عن أنفسهم مسبقًا صورة الأفضلية الأخلاقية، مموضعين أنفسهم كبديل عن النخب الإسرائيلية المؤسسة، بما أنهم كانوا ورثتهم في استيطان الأرض.

وعليه، على سبيل المثال، كتب رئيس المجلس الإقليمي للسامرة فيما يتعلق بـ"الفراغ المتزايد في المجموعات الأخرى، وبشكل خاص في الدوائر اليسارية...على النقيض من التحديات القومية الحقيقية التي تحاول كل من يهودا والسامرة وغزة الاستجابة لها"... إن الهوية العسكرية الجديدة التي خلقتها أكاديميات ما قبل الخدمة في الجيش قد عززت هذا الرأي ضمن أوساط المستوطنين، الرأي القائل أنهم الأفراد الوحيدين المنخرطين في الإنجاز والتضحية الوطنية. إن التسويغ لادعاءاتهم باستحقاق تقدير الجمهور قد تولد من إنجازات ذويهم وتضحياتهم العسكرية الشخصية. لأول مرة، انبثق هذا الشعور من مساهمتهم في الجمهور العام، لا من خلال إنجازاتهم الفئوية. وكما عبر عن ذلك، بيني كاتسوفر Beny Katzover، الرئيس السابق للمجلس الإقليمي للسامرة وأحد مؤسسي الحركة الدينية السياسية "غوش إيمونيم":

"ولّدت مستوطنات يهودا والسامرة وغزة جيًلا يمينيًا جديدًا أغلبهم من المتدينين. لا توجد تقريبًا أي ثانوية يشيفا لم يقم طلابها بزيارة يهودا والسامرة وغزة، وهي مناطق قد ثقفت في الواقع جيلًا بأكمله. بالإضافة إلى أن عدد "يشيفوت ههسدير" وأكاديميات ما قبل الخدمة في الجيش التي أُسست في يهودا والسامرة وغزة أكثر مما هو عليه في بقية البلاد. إن الجيل الشاب ليهودا والسامرة وغزة ينضمّ إلى وحدات الجيش ذات الجودة الأعلى، ويؤسس مستوطنات جديدة في أقسى المناطق".

لقد تطرق كاتسوفر إلى واحدة من أبرز إنجازات أكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية في السامرة والمناطق الأخرى من إسرائيل: "لقد أصبحت هذه الأكاديميات المؤسسات التي استوعبت الشبان الصهاينة المتدينين من كل أنحاء البلاد، ومنحتهم تجربة مثمرة في يهودا والسامرة. وبذلك، كانت لهذه المناطق أهمية نفسية–سياسية مكثفة بالنسبة لهم. وعليه، كانت هنالك محاولة لتأطير هذه المنطقة وسكانها بوصفهم من يتزعم المساهمة من أجل الدولة والمجتمع، وكمن يقوم بالتضحية بنفسه من أجل الدولة، وكمن ينتج من بين أوساطه جنوده وضباطه، وأنهم ليسوا مجرد فئة مبتزة تفكر بنفسها وحسب".

أصبحت الصورة الفئوية صورةً عامةً. في مسح فريد يجرى كل عام لفحص إدراك المواطنين القاطنين ما وراء الخط الأخضر، وُجِدَ أنه فيما يتعلق بسؤال "من أكثر من يمثل المستوطنين؟" كانت الإجابة هي ذاتها لخمس سنوات على التوالي:"أبناء الصهاينة المتدينين الذين يخدمون كجنود في جيش الدفاع". وبنسبة أقل بكثير في الإحصائية كان الجواب حاخامات يهودا والسامرة، رؤساء اليشيفوت في يهودا والسامرة، وآخرون.

إن مصدر الفخر الإقليمي هو أن النموذج القومي الرائج كان قد خلق في يهودا والسامرة. كتب يوفال كاهان، الذي يترأس أكاديمية ما قبل الخدمة في الجيش في تل أبيب، عامودًا صحفيًا تحت عنوان "الأكاديميات الدينية نموذجا"، وجادل بشأن نقل نجاح الأكاديميات الدينية إلى نظيرتها المختلطة، أي أن يكون هنالك طلاب متدينون وغير متدينين:

قبل 20 عاما أنشأ الحاخام إيلي سادان أول أكاديمية ما قبل جيش دينية في مستوطنة إيلي بالسامرة, وقد أحدث هذا الابتكار ثورة حقيقية فيما يتعلق بوضع الرجال القوميين المتدينين في الجيش: في تلك الأيام كان أفضل الفتيان منخرطين في خدمة عسكرية موجزة ومقسمة في وحدات منفصلة...أما هذه الأيام، فإن وحدات النخبة ومساقات الضباط يملؤها بشكل كامل أفراد متدينون.

وعليه، مع أنهم كانوا في يهودا والسامرة، خارج حدود السيادة الإسرائيلية، إلا أنه كان معروفا على وجه التحديد أنه في تلك المناطق تشكل أولئك الذين خدموا في أشد المنظمات سيادية، في جيش الدفاع. وأدى ذلك إلى أن يشعر الجيش نفسه بأنه ملتزم بهذه المنطقة بفضل تزويدها له بالجنود والضباط الذين كانوا قد انضموا للجيش، وأخلاقياته وثقافته وأكاديميات ما قبل الخدمة العسكرية المتموقعة هناك:

كما يشير شيليغ:

على حين غرة، وبفضل أكاديميات ما قبل الخدمة في الجيش، فإن جيش الدفاع الإسرائيلي قد وصل إلى الفئة القومية المتدينة، كتلة مركزة من مئات الطلاب سنويا لديهم حافز مثير للإعجاب للخدمة في الجيش، وأن يكونوا ضباطا محتملين...إن هذه الكتلة الهائلة من الرجال مقذوفة في الجيش بفضل الحاخامات...ومعظم الأكاديميات متموقعة في أراضي يهودا والسامرة وغزة. وقد كان هذا بالطبع مصحوبا باهتمام الناس والتغطية الإعلامية. وعليه، اختارت هآرتس أن تُضمن مقالا متميزا تحت عنوان: "ثلاثة خريجين متدينين من أكاديمية ياتير يرتبون مساق طيران في الغد".

التحولات الفئوية والشخصية الثقافية

لقد كانت الأكاديمية مُدركة بوصفها مسؤولة عن النموذج الأولي لشباب المتدينين، لأن التحول السايكو ثقافي يسمح للفرد المتدين أن يفعل ما يشاء. وهذا ليس صائبا فيما يتعلق بالرجال وحسب وإنما بالشابات كذلك. كان أول طيار متدين يصبح رئيس أكاديمية ما قبل جيش قد استقبل طلابا أرادوا أن يكونوا مثله. فيما كانت أول ملاحة متدينة أنثى في جيش الدفاع–تمار آرييل–قد التحقت بمساق طيران بعد دراستها في زاهالي، وهي أكاديمية ما قبل جيش للشابات المتدينات اللائي يتحضرن للتعامل مع متطلبات اللياقة القتالية، من بين أشياء أخرى. علاوة على ذلك، فإن موتها المأسوي في انهيار ثلجي في النيبال قد أدى إلى زيادة النشر الإعلامي عنها، وبالتالي مساهمةً في الإدراك أنه بفضل وسائل أكاديمية ما قبل الجيش، وبالسلطة الحاخامية والشرعية، فإن امرأة متدينة قد أصبحت شيئا "رائعًا"، وخاضت تجارب استثنائية. إن القصص المطبوعة عنها، تظهر حتى في صحف ومجلات دينية، تتضمن نجاتها من حادثة تحطم المروحية، ومشاركتها في الطلعات العسكرية الجوية فوق غزة أثناء حرب الجرف الصامد، و رحلتها الشجاعة إلى إحدى بلدان العالم الثالث..إلخ. صورتها في سترة الطيران أو في ألبسة تسلق الجبال خاصتها (حيث ترتدي سروالا عوض التنورة كما هو معتاد في العالم المتدين) أيضا زادت هذا التصور.

إن الفتيات المتدينات الراغبات بالانفتاح على أنماط الحياة غير الدينية سيجدون الآن أكاديمية ما قبل الخدمة العسكرية وسيلة شرعية لعقلنة هذا الانفتاح. ثمة أسطورة منذ السنوات الأولى لدولة إسرائيل: حينما اشتكى القوميون المتدينون لرئيس الوزراء دافيد بن غوريون أنهم غير مدمجين كليا في الإدارة العامة، أو أنهم افتقروا إلى ذات الوضع الذي تمتع به غير المتدينين، سألهم: "كم منكم دُفن في مقابر الجيش؟". واقع الأمر، أن المنطق الجمهوري–كالتضحية العسكرية–كان المقياس الوضع المدني للفرد. وقد يبدو أنه على مستوى شخصي وفئوي وثقافي أن ثورة أكاديميات ما قبل الخدمة في الجيش قادت الصهاينة المتدينين والمستوطنين إلى مقابر الجيش، واقعيا ورمزيا، فكل شيء متصل بتمركزهم ووضعهم داخل المجتمع الإسرائيلي.